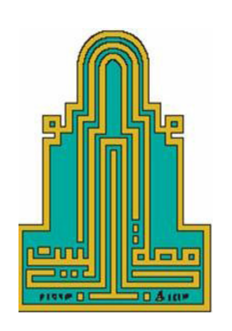


جامعة آل البيت
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

رسالة ماجستير بعنوان

مظاهر الحضارة والعمران في المملكة الغسانية في جنوب بلاد الشام في الفترة ما بين مطلع القرنين الرابع إلى مطلع القرن السابع الميلاديين

Appearances of civilization and urbanism in the Ghassanid kingdom in the south of the Levant in the period between the beginnings of the fourth century to the beginning of the seventh century AD

إعداد الطالب

إبراهيم عوده عواد الخالدي

الرقم الجامعي: 1820303008

إشراف

الدكتور موسى أحمد بني خالد

قدمت هذه الرسالة استكمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في تخصص التاريخ

الفصل الدراسي الثاني

1441هـ/ 2020م

تفويض

أنا الطالب: إبراهيم عوده عواد الخالدي أفوض جامعة آل البيت بتزويد نسخة من رسالتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم لنسخة من رسالتي حسب التعليمات النافذة بالجامعة.

التوقيع: ....

التاريخ / /2020م

إقرار والتزام بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها

أنا الطالب: إبراهيم عوده عواد الخالدي **الرقم الجامعي: (1820303008)**

التخصص: التاريخ **الكلية: الآداب والعلوم الإنسانية**

أعلن بأنني قد التزمت بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المعمول بها المتعلقة بإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه عندما قمت شخصياً بإعداد رسالتي بعنوان:

" مظاهر الحضارة والعمران في المملكة الغسانية في جنوب بلاد الشام في الفترة ما بين مطلع القرنين الرابع إلى مطلع القرن السابع الميلاديين "

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرسائل والأطاريح العلمية. كما أنني أعلن بأن رسالتي هذه غير منقولة أو مستلة من رسائل أو أطاريح أو كتب أو أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة إعلامية، وتأسيساً على ما تقدم فإنني أتحمل المسؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين غير ذلك بما فيه حق مجلس العمداء في جامعة آل البيت بإلغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها وسحب شهادة التخرج مني بعد صدورها دون أن يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

توقيع الطالب: **التاريخ: / /2020م**

عمادة الدراسات العليا
جامعة آل البيت

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة وعنوانها:

مظاهر الحضارة والعمران في المملكة الغسانية في جنوب بلاد الشام في الفترة ما بين مطلع القرنين الرابع إلى مطلع القرن السابع الميلاديين

إعـداد الطالب

إبراهيم عوده عواد الخالدي

الرقم الجامعي : 1820303008

إشراف

الدكتور موسى أحمد بني خالد

أعضاء لجنة المناقشة		**التوقيع**
1. د. موسى أحمد بني خالد	(مشرفاً ورئيساً)	
2. د. علاء كامل سعـــــــادة	(عضوًا)	
3. أ.د. عيسى محمود العزام	(عضوًا خارجياً)	

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة آل البيت.
نوقشت وأوصى بإجازتها بتاريخ : 15 /2020/6 م

الإهـــداء

إلى والدي ووالدتي أطال الله بعمرهما...

وإلى أخي وسندي أبو عون............

إلى زوجتي العزيزة...........

وإلى كل من وقف جانبي من الأهل والأصدقاء..........

الباحث

الشكــر والتقدير

الحمد لله والذي وفقني وأعانني على كتابة هذا البحث، والشكر لوالدي وعائلتي التي دعمتني للوصول إلى هذه المرتبة.

كما أتقدم لأستاذي ومشرفي الدكتور موسى بني خالد بالغ الشكر والتقدير لتعاونه معي وحرصه على إنجاز هذه الأطروحة بأفضل صورها. وأتقدم ببالغ شكر والتقدير والعرفان لأعضاء لجنة المناقشة الأفاضل الدكتور موسى بني خالد والدكتور علاء سعادة وأستاذ دكتور عيسى العزام كعضو خارجي في اللجنة من جامعة العلوم والتكنولوجيا، للوقت والجهد الذي قدموه لتقيم هذا العمل في سبيل نصحي وإرشادي لما هو أفضل.

ويسرني أن أوجه شكري لكل من نصحني أو أرشدني أو وجهني أو ساهم معي في إعداد هذا البحث بإيصالي للمراجع والمصادر المطلوبة في أي مرحلة من مراحله، واخص بذلك أخي أبا عون، وأصدقائي وزملائي في قسم التاريخ.

الباحث

قائمة المحتويات

قائمة الأشكال

قائمة الجداول

الملخص

مظاهر الحضارة والعمران في المملكة الغسانية في جنوب بلاد الشام في الفترة ما بين مطلع القرنين الرابع إلى مطلع القرن السابع الميلاديين

إعداد الطالب

إبراهيم عوده عواد الخالدي

الرقم الجامعي: 1820303008

إشراف

الدكتور موسى أحمد بني خالد

بلاد الشام مهد الحضارات المختلفة، فعلى أرضها استقرت العديد من الشعوب والقبائل؛ فبنوا القصور والقلاع وبيوت العبادة، وشقوا الطرق، ومارسوا الزراعة والرعي والتجارة. من أرض بلاد الشام تمر اهم الطرق التجارية في العصور القديمة ومنها طريق البخور وطريق الحرير. والى بلاد شام هاجرت العديد من القبائل العربية طلبا للمراعي والاستقرار في رحاب هذه الأرض المباركة.

تتطرق هذه الأطروحة لدراسة آل غسان احد اهم القبائل العربية التي استقرت في جنوب بلاد الشام، بعد هجرتها من جنوب الجزيرة العربية، حتى أصبحت مملكة ذات شأن عظيم في المنطقة. رغم الغموض الذي يلتف حول تاريخ مملكة الغساسنة، إلا أن الباحث قام على البحث مطولا لفهم وتاريخ وأصالة هذه المملكة، لإظهار حياتها الاجتماعية والاقتصادية والحضارية من جميع جوانبها.

وللوصول إلى ذلك؛ تم تقسيم هذا البحث إلى أربعة فصول؛ فحمل الفصل الأول بين طياته الأوضاع التاريخية والحضارية لبلاد الشام خلال الفترة ما بين القرن الرابع والسابع الميلادي، بينما تناول الفصل الثاني تاريخ ونشأة المملكة الغسانية، وناقش الفصل الثالث المظاهر الحضارية للمملكة الغسانية، في حين ركز الفصل الرابع على البقايا المعمارية للمملكة الغسانية واظهر عظم هذه المملكة وأهميتها.

وفي الختام تظهر أهمية هذه المملكة التي كانت حليفا اهم لإمبراطوريات العصر القديم وفترة من الزمان، كما كانت دعما كبيرا لجيش الفتوحات الإسلامية بعد دخوله الإسلام.

المقدمة

بدأت مرحلة تاريخية جديدة في تاريخ الشرق القديم مع مطلع القرن الرابع ميلادي في شمال الجزيرة العربية وبلاد الشام، وذلك بقيام الإمبراطورية البيزنطينية على يد الإمبراطور قسطنطين الكبير (306–337م) والذي اتخذ من القسطنطينية عاصمة للإمبراطورية البيزنطينية في عام 324م. وقيام الإمبراطورية الساسانية (الفارسية) على يد الملك أزدشير الأول (226–240م) في بلاد فارس. ولم تلبث تلك الإمبراطوريتان إلا أن تتنازعان على منطقة (شمال الجزيرة العربية، وجنوب بلاد ما بين النهرين، وبلاد الشام)؛ واتخذت كل منهما حليفا لها من القبائل العربية يعينها على فرض سيطرتها على المنطقة ويحميها من هجوم الطرف الأخر أي الإمبراطورية المعادية.

فاتخذت الإمبراطورية الساسانية الفارسية قبيلة المناذرة حليفا لها، بينما اتخذت الإمبراطورية البيزنطينية من قبيلة الغساسنة حليفا. فكلا القبيلتان استوطنتا في شمالي الجزيرة العربية وامتدت سيطرتهما إلى جنوبي بلاد الشام وجنوب نهر الفرات. ووجودهما في هذا الموقع الاستراتيجي جعلهما من اهم حلفاء الإمبراطوريتين في ذلك الوقت؛ حيث شكلتا خط الدفاع الأول للإمبراطوريتين، ونقطة بدا أي معارك بينهما.

لم تكون تلك القبائل العربية التي تحالف معها كل من الإمبراطورية الرومانية أو الإمبراطورية الفارسية بل كان هناك العديد من القبائل الأخرى. حيث كانت قبيلة الضجاعمة الحليف الأول للروم (البيزنطيين) قبل صراعها مع الغساسنة وانهيارها. حيث وجد الروم (البيزنطيين) في قبيلة الغساسنة قوة وصبر وتحمل بالمعارك خلال معاركهم مع الضجاعمة مما دفعهم إلى نصرة الغساسنة واتخاذهم حليفا في المنطقة بدل عن الضجاعمة في نهاية القرن الثالث الميلادي.

اتسع امتداد حكم الغساسنة في تلك الفترة إلى أن وصل إلى سهول حوران من الشمال وحتى وحدود خيبر جنوباً. حيث أصبحت مملكة عظيمة؛ لكن لهذه المملكة تاريخ غامض، فهنالك اختلاف بين المراجع العربية واليونانية حول نشأت هذه المملكة، وعمرها، وعدد ملوكها وأسمائهم وفترة حكمهم. في حين تتفق جميع المراجع إنها كانت تلعب دور الدرع الواقي للروم من غارات البدو عليهم من أطراف الدولة؛ كما شكلت القوة الداعمة للرومان البيزنطيين ضد الفرس الساسانيين؛ وكما إن لهذه المملكة دور مهم في صفوف الجيوش الإسلامية بعد دخولها الإسلام

لاحقا. كما فعل ملكها جفنة بن عمرو الذي يعتبر أول ملوك هذه المملكة ومؤسسها؛ وحكمها لمدة تقارب خمسة وأربعون عاما (620–665م) كما أظهرت اغلب المراجع والمصادر.

عرفت قبائل الغساسنة بحياتهم العربية البدوية، فكانوا كثيري الترحال؛ لذلك تنقلت عاصمتهم من مدينة لأخرى وذلك طبقاً لرغبة الملك في تلك الفترة. وبرغم التنقل الدائم للمملكة إلا أن لها آثار حضارية ومعمارية لا زالت بقاياها شاهداً على عظمة هذه المملكة وعلى سبيل المثال لا الحصر: كنيسة الرفيد، وبريقة، وكنيسة ناسخ، وكفر شمس، وكنيسة القديس سيرجيوس، وأيضا قصر برقع وغيرها الكثير على طول امتداد بلاد الشام.

في هذا البحث سيقوم الباحث بدراسة تاريخ مملكة الغساسنة في منطقة جنوبي بلاد الشام في الفترة ما بين مطلع القرن الرابع إلى مطلع القرن السابع الميلاديين، من حيث أصلها ونشأتها، وامتددها، وعلاقتها بالقبائل العربية، وعلاقتها بالإمبراطوريتين البيزنطينية (الرومانية)، والساسانية (الفارسية)، أهم ملوك بني غسان وإنجازاتهم، وما خلفته الحضارة الغسانية من آثار وبقايا معمارية وحضارتها.

الفصل الأول
الأوضاع التاريخية والحضارية لبلاد الشام خلال الفترة ما بين القرنين الرابع والسابع الميلاديين

أولاً: الإمبراطورية البيزنطينية

ثانياً: الإمبراطورية الساسانية

ثالثاً: القبائل العربية

رابعاً: الأوضاع الاقتصادية في جنوب بلاد الشام

خامساً: الصراع بين الإمبراطوريتين

سادساً: الغساسنة والإمبراطورية البيزنطينية

الفصل الأول

الأوضاع التاريخية والحضارية لجنوب بلاد الشام خلال الفترة ما بين القرنين الرابع والسابع الميلاديين

للموقع الجغرافي المتوسط لبلاد الشام في الجزء الجنوبي الغربي لقارة آسيا، والمتصل بأهم البحار في العالم القديم كالبحر الأبيض المتوسط، والبحر الأحمر؛ واتصالها بشمال إفريقيا حيث نشأت الحضارة المصرية القديمة، وأيضا جنوب شرق أوروبا؛ الدور الأكبر في كونها مسرح لعديد من الأحداث التاريخية على مر العصور. فعلى أرضه نشأت عديد من الحضارات وممالك التي تميزت عن غيرها بتطورها وقوتها في ذلك الوقت، مثل الأراميين في الشمال، والأنباط في الجنوب.

كما إن اتصاله بشمال شبه الجزيرة العربية جعل من السهل على القبائل العربية الانتقال اليه والاستقرار فيه. وكان لسكانه من القبائل العربية اتصالهم بالأمم المجاورة لهم، سواء كان الاتصال على مستويات التجارية والسياسية وغيرها؛ حيث اتصل سكان بلاد الشام من جهة الشرق والشمال الشرقي مع الإمبراطورية الفارسية، أما من الجهة الغرب والشمال الغربي مع الإمبراطورية البيزنطينية، بينما اتصلوا مع حضارات شبه الجزيرة العربية الجهة الجنوبية الغربية والشرقية وبلاد ما بين النهرين. وكان لهذا التواصل أثر واضح في سكان بلاد الشام بشكل عام، والقبائل العربية التي قطنت المنطقة بشكل خاص في جوانب متعددة، منها السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، وأيضًا الحربية.

أصبحت منطقة جنوب بلاد الشام في الفترة ما بين القرنين الرابع والسابع الميلاديين مسرحا للصراع الدائر ما بين الإمبراطوريتين البيزنطينية والفارسية، حيث إن العلاقات الدولية بينهما اتخذت الطابع الحربي، بذلك كانت بلاد العرب تمثل ارض المعارك، والصراع بين تلك الإمبراطوريتين في المجالات الحربية والتجارية. فوجود تلك القوتين في المنطقة أثر على العلاقات الدولية بين الممالك العربية بعضها ببعض؛ من الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

لتسليط الضوء على تلك العلاقات وتأثيراتها على الأوضاع التاريخية والحضارية على الممالك العربية في جنوب بلاد الشام بشكل عام، والمملكة الغسانية بشكل خاص؛ حيث إنها تمثل الجزء الأهم في تلك الفترة بالنسبة للباحث، لذلك سيقوم في هذا الفصل بتسليط الضوء على العلاقات الدولية في جنوب بلاد الشام خلال القرنين الرابع والسابع الميلاديين. وللوصول إلى ذلك

سيحتوي هذا البحث على دراسة عن كلا القوتين (الإمبراطورية البيزنطينية الرمانية، والإمبراطورية الفارسية الساسانية) الأبرز في منطقة. وكما سيحوي على دراسة حول العلاقات التجارية التي سادت تلك القوتين وأسباب الصراع بينهما.

سيتطرق الباحث في هذا الفصل أيضا إلى القبائل العربية التي تزامن وجودها في المنطقة مع تلك القوى، ومدى وتأثيرهم بالقوى العظمى في تلك الفترة بشكل عام. بالإضافة إلى الدور الذي لعبته المملكة الغسانية ومدى تأثيرها في الأحداث السياسية خلال تلك الفترة.

أولا: الإمبراطورية البيزنطينية:

الإمبراطورية البيزنطينية إحدى القوى العظمى في بلاد الشام وشمالي شبه الجزيرة العربية منذ القرن الثاني الميلادي، وحتى مطلع القرن السابع الميلادي، وظلت هذه الإمبراطورية مسيطرة على مناطق عديدة رغم الأزمات المتعددة التي حدثت لها ومن أهمها أزمة تعرف بأزمة القرن الثالث وهي أزمة اقتصادية وعسكرية، حدثت بسب الحروب الخارجية، والأهلية التي تعرضت لها روما، وأدت إلى ضعفها وعلى اثر هذه الأزمة تم تقسيم الإمبراطورية من قبل الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥م) إلى شطرين غربي وشرقي هما: الإمبراطورية الرومانية في الغرب والإمبراطورية البيزنطينية في الشرق؛ وأقام سلطة مركزية في الجانب الغربي والجانب الشرقي مع فصل السلطة المدنية عن السلطة العسكرية[1].

وصلت الإمبراطورية اقصى قوتها الاقتصادية والثقافية والعسكرية في أوروبا في عهد الإمبراطور قسطنطين الأول (٣٠٥ -٣٣٧م)، فاستعادت معظم ساحل البحر المتوسط الغربي، بما في ذلك شمال إفريقيا، وإيطاليا، وأنشأ عاصمة جديدة لدولته على شاطئ البسفور شرق المتوسط بدلاً من روما عرفت باسم القسطنطينية. كما انه أعلان الدين المسيحي هو الدين الرسمي للدولة من خلال إصدره مرسوم ميلان (٣١٣م) الذي أعلن فيه التسامح الديني لاتباع الديانة المسيحية[2].

---

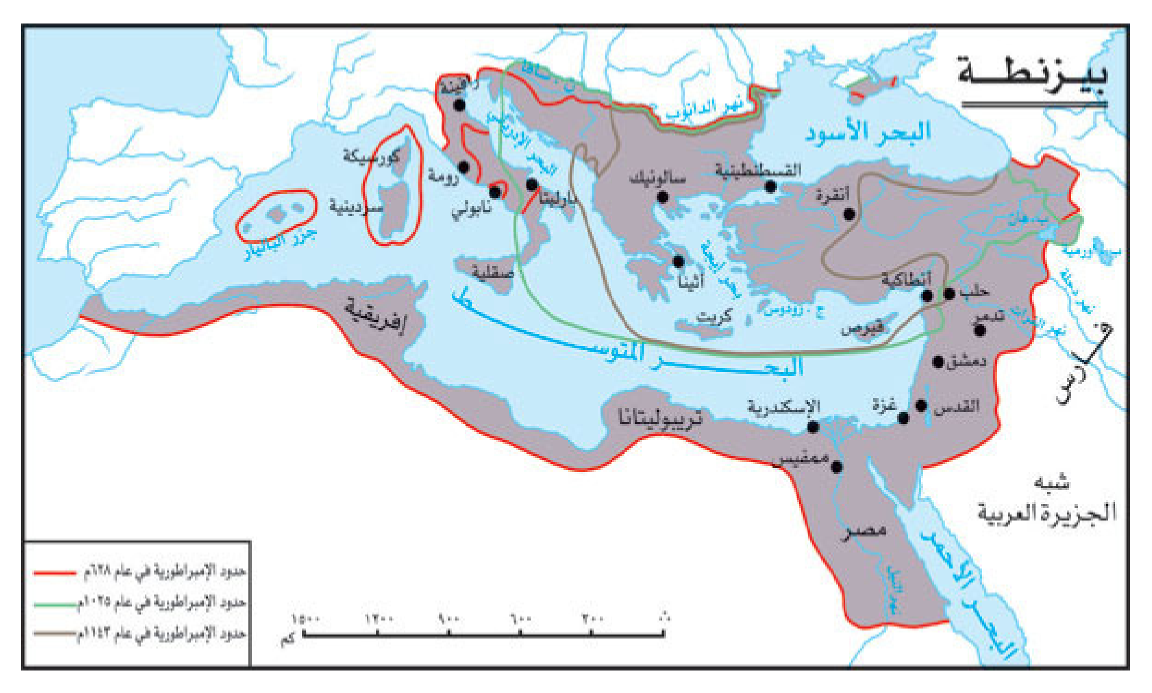
(1) القحطاني، سميرة، **بعض ملامح العلاقات الدولية وأثرها على شمال شبه الجزيرة العربية خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين**، مجلة كلية الآداب جامعة بورسعيد، 2007، ص 564. (سيشار إليه لاحقا).

(2) القحطاني، سميرة، **بعض ملامح العلاقات الدولية وأثرها على شمال شبه الجزيرة العربية خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين**، ص 564.

في عهد الإمبراطور موريس (539 –602م) (٥٨٢–٦٠٢م) وصلت الإمبراطورية إلى اقصى اتساعها؛ ولكن باغتياله (٦٠٢م) نشبت الحروب الداخلية وأخرى خارجية مع الإمبراطورية الفارسية (الساسانية) دامت قرابة عقدين من الزمان. ونتج عن تلك الحروب استنزاف كبير للموارد والقوى البشرية للإمبراطورية البيزنطينية؛ فقد خسرت كثيرا من مناطق نفوذها في بلاد الشام. بينما استطاع هرقل من الحفاظ على الشمالي الإفريقي من الإمبراطورية بمأمن من تلك الحروب.

طلب أهالي القسطنطينية (عاصمة الإمبراطورية البيزنطينية) من هرقل لاستلام زمام الأمور في الإمبراطورية؛ حيث مرت الإمبراطورية في جزء الأخير من القرن السادس الميلادي بأوضاعٍ سياسية وعسكرية صعبة، وألقَتْ هذه الفترة بظلالها لمدةً طويلةً على حُكم الإمبراطور هرقل، حيث كان الصراع ضد الدولة الفارسية امتد خلال فترة طويلة من حكمه[1].

وفيما يلي تلخيص لاحول الإمبراطورية البيزنطينية:



الشكل 1: حدود الإمبراطورية البيزنطينية[2]

- **الناحية السياسية:**

---

(1) Vasiliev, 1970, **History of the Byzantine, Empire** Wisconsin: The University of Wisconsin Press,. Vol. 1, P.235.

(2) http://arab-ency.com.sy/detail/2183

في عهد الإمبراطور موريس أثرت العديد من حركاتِ التمرُّدِ والعصيان عسكري على أجزاء متعدة من الإمبراطورية، ونتج عنها عزل الإمبراطور عن عرشه، وليس ذلك فحسب بل قامت تلك الحركات بملاحقته وقتله مع خمسة من أولاده[1]، ويعد سبب ظهور هذه الحركات إلى المعاملةَ التي اتبعها موريس مع رجاله في جيشه وادى سوء المعاملة هذا إلى تمرد أفراد الجيش، ومن اشكال سوء المعاملة تأخيرَ الرواتب، ورفْضَ افتداءَ الأَسْرى لدى الفرس؛ مما أدَّى إلى مقتلهم [2].

بعد قتل الإمبراطور موريس موريس (539 –602م) أعلن قادةُ التمرُّد فوكاس (602–610م) إمبراطورًا للامبراطورية الرومانية، لكن تمتاز فترة حكمه بتوتر الأحوال السياسية والدينة على حد سواء؛ في محاولة منه للحد من أعمال تتبع والثأر والقتل لاتباع وأسرة الإمبراطور موريس في العاصمة؛ فشهدت العاصمة القسطنطينيةَ خلال فترت حكمه أزمة سياسية كبيرة نتيجة لتلك الأعمال، مما جعل ملك الفرس ينهي حقبة السلام مع الإمبراطورية البيزنطينية من تخذا من الأزمة السياسية في العاصمة الرمانية ذريعة لذلك، واستئناف القتال لأخْذ ثأر لصديقه الإمبراطور موريس على حد قوله[3].

لم يكن الخطر الخارجي، متمثلا في الإمبراطورية الفارسية فقط، فقد هدد الآفار والسلاف الحدود الشمالية للإمبراطورية الرمانية. في حين أن الأوضاع الداخلية لم تستقر خلال فترة حكم الإمبراطور فوكاس (602–610م)؛ حيث واجه عدد من حركات التمرد والمؤامرات التي قام بها اتباع وبقايا أسرة الإمبراطور الراحل موريس (539 –602م)، وعدد من كبار موظَّفي الإدارة، بالإضافة كبار بعض الأسر الأرستقراطية في الدولة، وعدد من قيادة الجيش الروماني[4].

---

(1) Vasiliev, 1970, Pp: 235.

(2) Haldon,J.F**, Byzantium in the Seventh Century**, Cambridge, 1997. P.31.

(3) الواقع أن الأوضاع التي سادتْ في بيزنطة هي التي دفعتْ كسرى ملك الفرس لمهاجمتها واستئناف القتال معها، وسنتحدَّث في الصفحات التالية –عند الحديث عن أوضاع مملكة الفُرس –عن طبيعة العلاقة التي سادتْ بين الإمبراطور البيزنطي موريس وكسرى، والمصاهرة والصداقة التي ربطت بينهما، وعن حقبة السلام التي سادتْ بين الطرفَيْن في عهدهما، وهي الحُجَّة التي اتَّخذها كسرى سببًا لاستئناف القتال مع بيزنطة واجتياح أراضيها. (Haldon,J.F**, Byzantium in the Seventh Century**, etall, Pp: 20)

(4) عبد الجواد، ليلى، **الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور هرقل،** القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٥م ص 49–52.

كما أنه فقد التأييد الشعبي له بسبب تذبذب أراءه ودعمه للأحزاب السياسية، حيث تخبط في الحزب الذي يدعمه حيث اهتم بالخُضْر لفترة من الزمن في حان عامل الزرق معاملة سيئة، وتارةً أخرى ينقلب على الخضر ودعم الزرق؛ وفي بعض الأحيان ينقلب ضد الحزبين، مما أدى إلى اندلاع صدام ومنافسة قوية بين الحزبين (الزرق والخضر) خلال فترة حكمه. وأدى ذلك إلى مواجهات ومنازعات ومعارك بينهما، وامتدت في أنحاء البلاد انطلاقا من العاصمة القسطنطينية[1].

- **الجانب الاقتصادي:**

أما الأحوال الاقتصادية فقد تدهورت بشكل كبير خاصة من نهاية اقرن السادس الميلادي؛ وذلك بسبب استيلاء الفرس على آسيا الصغرى، وأجزاء من بلاد الشام وبلاد ما بين النهرَيْن، مما أدى إلى نقص في الميزانية الرومانية بسبب انقطاع أموال الضرائب من تلك المناطق، بالإضافة إلى تخريبٍ وتدميرٍ الذي لحق بأراضي الإمبراطورية بعد المعارك التي جرت على أراضيها؛ مما أدَّى إلى انتشار الأمراض وانخفاض إمدادات الجيش الروماني على حدود الإمبراطورية [2].

كما إن الزرعة في تلك تأثرت بشكل كبير بسبب سوء الأحوال المناخية؛ حيث أدى البرد الشديد إلى تلف المحصول الزراعي، وانخفاض بل وانقطاع لإمدادات القمح من مصادرها (إفريقيا ومصر)، ونتيجة لذلك انتشر الجوع والحرام بين أبناء الطبقات الفقيرة؛ وذلك بسبب منعهم من الحصول على الخبز المجاني[3]، بذلك زاد الحنق والكره العامة لسياسات العليا، فزاد الإطراب الداخلي في الإمبراطورية حتى شمل جميع أنحائها.

- **الجانب العسكري:**

حصل الجيش الروماني في تلك الفترة أعظم خسائره؛ حيث حلق الجيش الإمبراطورية القوي والمدرب الذي قام بحماية الإمبراطورية البيزنطينية على مدى فترة طويلة، عددا من الهزائم المتتالية،

---

(1) Vasiliev, 1970, **History of the Byzantine, Empire, etal, Pp: 350.**

(2) موس، "**ميلاد العصور الوسطى**"، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، سلسلة الألف كتاب رقم 623، القاهرة، عالم الكتب، 1967م، ص 230.

(3) سعيد عبد الفتاح عاشور: "**أوربا العصور الوسطى**"، ط 5، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1983م، ج1، ص 124.

وذلك خلال فترة حكم فوكاس ومطلع القرن السابع ميلادي. مما أدى انخفاض معنويات الجيش وعدم قدرته على السيطرة على الجبهات الداخلية والخارجية[1].

كما أن تجنيد المرْتَزقة في جيش الإمبراطورية اداى اضطراب خزينة الدولة، وإفلاسها، ويعتبر سبب اللجواء الى هذا النظام في الجيش البيزنطي، هو سيطرة الفرس على آسيا الصغرى، والتي كانت المصدر الرئيس للجنود[2]؛ لم يؤثر هذا النظام في التجنيد على الخزينة فقط بل كان له أثاره على الناس فانتشر شعور الكراهية والحنق للجندية، مما أدى إلى انفصال عديد من أفراد الجيش والاتجاه إلى الرهبنة في الأديرة والكنائس؛ بحثا عن الراحة والسلام الداخلي[3].

طبقا لما تم وصفه أعلاه فان الإمبراطورية البيزنطينية قد مرت بالعديد من الأزمات الداخلية والخارجية التي شملت مختلف جوانب الحياة. فعلى الصعيد السياسي فهناك نزاع على الحكم واقتتال بين أفراد الأسر العليا. أما على الصعيد العسكري فعزف الجنود عن الحياة العسكرية بسبب الأنظمة العسكرية المجحفة بحقهم؛ وتلقى الاقتصاد الروماني خلال تلك الفترة الضربة الأقسى فقد تأثر بالصراعات الداخلية والخارجية على حد سواء؛ كمان تأثر بالتغير المناخي في تلك الفترة[4].



---

(1) موس، "**ميلاد العصور الوسطى**"، ذكر سابقا، ص 229–233.

(2) فيشر، "**تاريخ أوربا العصور الوسطى**"، ترجمة محمد مصطفى زيادة والباز العريني، القاهرة، دار المعارف، 1969م، ج1، ص1.

(3) Ostrogorsky, OP. Cit, The Byzantine Emperor and the Hierarchical World Order, The Slavonic and East European Review, Vol. 35, No. 84 (Dec., 1956).P.13

(4) Ostrogorsky, OP. Cit, The Byzantine Emperor and the Hierarchical World Order, etal, P10

الشكل 2: الامبراطورية البيزنطينية خلال الفترة ما بين 527- 565م[(1)]

بذلك مثلت فترة حكم الإمبراطور فوكاس أسوء الفترات في حياة الإمبراطورية، لما ظهر فيها من صراعات داخلية التي وصفت بالدموية. مما أدى الى ضياع هيبة الحاكم؛ وزاد مطامع أعداء الإمبراطورية فيها؛ وأصبحت عرضه للغزو الخارجي.

رمت تلك الفترة ظلالها على الإمبراطورية البيزنطينية، حتى قدوم الإمبراطور هرقل سنة (610م)، ليحمي الإمبراطوريةَ من انهار، وينقذها من مستنقع الكراهية والصراعات الداخلية، وليحميها أيضا من أعدائها الخارجيين، الذين وجدوا في ضعف الدولة فرصة ذهبية للسيطرة عليها[(2)].

وصلت استغاثة الفعاليات السياسية والدِّينية والمواطنين في القسطنطينية، إلى هرقل في مقاطعة إفريقيا تستنجد به، وكان لبُعد ولاية شمال إفريقيا، وعدم تأثُّرها بالأحداث التي جَرَتْ في القسطنطينية الأثرُ الحاسم في سرعة الاستجابة؛ حيث أبحر هرقل الابن يقود جيشَ الإنقاذ، والذي سرعان ما حقَّق الانتصار على فوكاس (602-610م)، الذي لم يبقَ له في العاصمة كثيرٌ من الأنصار[(3)].

وقد تصدَّى الإمبراطور لأهم القضايا الملحَّة التي أصابت الإمبراطوريةَ، وهي الحالة الاقتصادية، وحالة الإفلاس العامة التي عانتْ منها الخزينة، واتَّخذ لذلك عدة إجراءات؛ منها: تحديد عدد موظفي الكنيسة والإدارة الإمبراطورية، وفرض ضرائب جديدة[(4)].

ثانيا: الإمبراطورية الساسانية:

الدولة الفارسية احدى القوى العظمى التي ظهرت خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين، ومطلع القرن السابع الميلادي، على مسرح الأحداث في شمال شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين وبلاد الشام في تلك الفترة، ودخلت في صراع مع الإمبراطورية الرومانية. خلال القرن الرابع الميلادي

---

(1) http://www.reefnet.gov.sy/reef/index.

(2) Haldon, J.F, **Byzantium in the Seventh Century**. Pp: 43.

(3) يوسف، **تاريخ الدولة البيزنطية**، ص 27.

(4) نورمان بينز، "**الإمبراطورية البيزنطية**"، ترجمة حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، 1957م، ص157 .

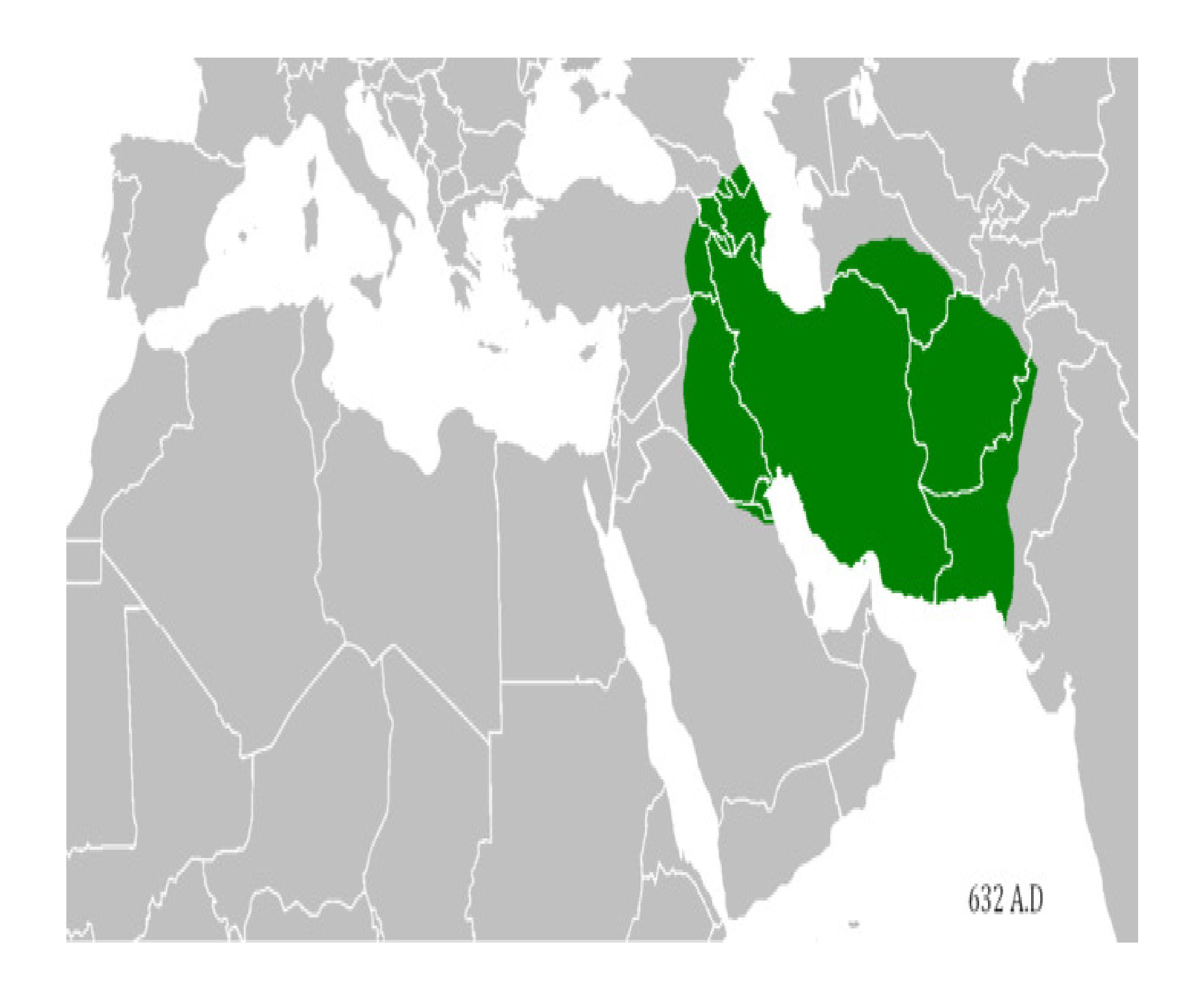
استطاع الفرس الاستيلاء على إقليم الجزيرة الفراتية، وذلك بسيطرتها على كل من: ديار بكر، وسنجار، وكذلك جزيرة ابن عمر، مما زد من حدة الصراع بين الدولتين[1].

وقد شهدت بلاد فارس حالة استقرار في الفترة الواقعة بين وفاة الملك شابور الثاني (309–379م) وتولي قباذ الثاني (488–531م). قبل عام ٤٨٨م كان الجيش الساساني يهاجم الإمبراطورية الرومانية الشرقية التي كَانتْ تَبْني التحصيناتَ التي على الحدود بين الدولتين لإرسال الحملات العسكرية التي ينوون إرسالها للأرضِ الفارسيةِ؛ إلا إن الجيش الفارسي فاجئ الرومان؛ مما جعل الإمبراطور البيزنطي ثيودوسيوس الثّاني (248–450م) التقدم بطلب معاهدة سلام، حيث أرسل قائدَ جيشه إلى معسكرِ الملك يزدجرد الثاني (428–430م)، اتفقت كلتا الإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطينية على ألَا تَبْني أيّ تحصينات جديدة على الحدود[2].

---

(1) الإمبراطورية الساسانية والإمبراطورية البيزنطية.

(2) الجاف، حسن، الوجيز في تاريخ إيران، بغداد، 2003م، ج1، ص 102.



الشكل 3: حدود الامبراطورية الفارسية (الساسانية) 632م[1]

(1) https://ar.wikipedia.org/wiki/

ومع بداية القرن الخامس الميلادي تعرضت الدولة الفارسية لهجمات شرسة من قبل جماعات عرفت بالهون البيض[1] واستطاع الملك الفارسي بهرام الخامس وأخوه يزدجرد الثاني (428–430م) أن يوقعا بهم الهزيمة، ولكنهم عاودوا الهجوم مرة أخرى في نهاية هذا القرن، وعاشت الدولة الفارسية خلال هذا القرن فترة من عدم الاستقرار الداخلي، ومرت بفوضى ومشكلات سياسية، خاصة بعد تولي الملك قباذ الأول بحكم البلاد، واستطاع أن يحقق كثير من الانتصارات الحربية على الرومان.

أما فترة حكم الملك كسرى أبرويز (590– 625م)، وهو الملك الأكثر شهرةً بين الملوك الساسانيين بسبب إصلاحاته السياسية، والإدارية الكبيرة. وبعد فترة قصيرة من الاضطرابات الداخلية التي حدثت بسب الانقلاب العسكري ضد الملك كسرى أبرويز (المظفر) عام (590م)، حيث تمرد بهرام جوبين (590–591م) Bahram Chubin أحد قادة الجيش الفارسي، وكان بهرام يحمل لقب الرجل الخشبي لقوته ولعدم إظهاره لأي مشاعر[2]، وسرعان ما اصبح بهرام جوبين ملكًا؛ فقد نصب نفسه ملكا بعد نجاح انقلابه، إلا انه تعرض لمعارضة شديدة قادها النبلاء وكل من كان يدين بالولاء للأسرة الحاكمة[3].

ورغم نجاح انقلاب بهرام الا ان فوضى عارمة اجتاحت معظم أجزاء الإمبراطورية، مما أدى إلى هزيمته وعزله عن الحكم. ومن أهم أسباب هزيمته فشله في القبض على كسرى أبرويز، الذي لاذ بالفرار إلى بيزنطة، وطلب من إمبراطورها اللجوء، رغم العداء الكبير بين الإمبراطوريتين والحروب التي كانت بينهما، ومِن مدينة هيروبوليس قام كسرى بكتابة رسالة إلى لإمبراطور البيزنطي موريس (539 –602م)، طالبا فيها عونه ومساعدته في استرداد عرشه وعرش آبائه من بهرام[4].

---

(1) شعب الهون البيض هم قوم من أصل مجهول، قد يكون من أرومة تبتية أو تركية، المراجع العلمية الحديثة ترجح إن أصولهم إيرانية ولغتهم لغة إيرانية شرقية قديمة. لعبت هذه الدولة دورا هاما في تاريخ آسيا ولها أهمية خاصة في تاريخ الهند والفرس أيضا – إذ استطاعت هذه الدولة توسيع رقعتها في مدة وجيزة حيث أعلنت الحرب على الدولة الساسانية فى إيران، وتغلبت على ملك الفرس فيروز. وألحقت به هزيمة دامغة في موقعة حربية؛ شرقي بلخ سنة 484م. ليلى حسن،" **دولة الهياطلة دولة الهون البيض**"، 2014، https://lailahassanblog.wordpress.com/2014/10/12

(2) آرثر كريستنس، "**إيران في عهد الساسانيين**"، ترجمة يحيى الخشاب، بيروت، دار النهضة العربية، 1980م، ص426.

(3) طه باقر وآخرون: "**تاريخ إيران القديم**"، مطبعة جامعة بغداد، 1972م، ص154.

(4) ابن العبري: "**تاريخ مختصر الدول**"، بيروت، 1958م، ص91.

انتهز الإمبراطور موريس هذه الفرصة لفرضة السلام مع الفرس، بعد فشل العديد من مفاوَضات السلام بين الدولتين سابقا، والتي قام ملك فارس (بهرام) بإخفاقها، مما جعل في مساعدة كسرى طريقا لوقف الحروب المستمرة بين القوتين. ظلت حالة من عدم الاستقرار تسود بلاد فارس طوال فترة حكم بهرام، بالإضافة الى عدد كبير من المعارك والمنازعات الداخلية وذلك للخلاف القائم بين رجال الدين والنبلاء والملك بهرام(1).

في حين أرسل الإمبراطور موريس الجيش الإمبراطوري الروماني بقيادة نارسيس Narses، والبطريق يوحنا Jean، لمساعدة كسرى أبرويز لاستعادة حكمه على بلاد فارس. ولكن واجه الإمبراطور الروماني بعض المعارضة من مجلس الشيوخ وذلك لعدم اطمئنانهم للفرس، وشكهم بوجود خدعة[2].

أستطاع كسرى أبرويز في عام (591م) بعبور نهرَ دجلة، وهزيمة بهرام جوبين واستعادة عرشه، فقام الإمبراطور موريس بإرسال الهدايا لتهنيئه كسرى، ولدعم العلاقات بين القوتين قام الإمبراطور موريس بتزويج ابنته ماري أو ماريا Marieالكسرى أبرويز [3].

وبذلك عادت الحياة إلى بلاد فارس باسترجاع كسرى لعرشه، وساد السلام بين الإمبراطوريتين؛ نتيجة للتعاون ما بين الإمبراطور موريس وكسرى أبرويز، ولم يقتصر السلام بينهما على الجانب العسكري والسياسي، لكن تحسنت الأوضاع الداخلية للدولتين والعلاقات الاجتماعية بين أفراد الشعبين، حيث تحسنت معاملة الفرس للنصارى في بلاد فارس والمناطق الحدودية بين الدولتين.

وبعد انتهاء تلك الفترة من الانهيار ارتقت الدولة الساسانية ووصلت اقصى تطورها في المجالات اقتصادية وعسكرية بعد اعتلاء كسرى الأول أنوشروان العرشَ سنة (501–579م)؛ حيث قاد سلسلة من الإصلاحات في نظام الحكم من ناحية، حيث قلل من نفوذ النبلاء وسيطرتهم، بالإضافة إلى عدد من الإصلاحات الاجتماعية التي ساهمت في تحسن حياة أفراد المجتمع [4].

---

(1) آرثر كريستنس، "**إيران في عهد الساسانيين**"، ص428.

(2) عبد الجواد، ليلى، "**الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور هرق**" ، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٥م.

(3) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج ٢، مصر، دار المعارف، ص 200.

(4) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ص200.

كما قام بتعديل نظام الضرائب، حيث انه قام بتغير طريقة التي جمع الضرائب على اختلاف أنواعها عقارية منها أو شخصية، وأراد بهذه التعديلات القضاء على الفساد بالدولة؛ ولوصول إلى هدفه أوكل مهمات جمع الضرائب لأشخاص اشتهروا بالاستقامة والنزاهة؛ حيث قاموا بمسح الأراضي الزراعية وتحديد القيم المالية المفروضة عليها[1].

بإضافة إلى تعديل قانون الضرائب الشخصي، وذلك لدعم خزينة الدولة بالأموال اللازمة لتمويل الجيش لحفاظ على أراضيها من الأعداء الداخلين أو الخارجيين على حد سواء، ولتلافي حدوث أزمات تؤثر على سيادة الدولة[2].

بالتالي أصبح الوضع المالي للدولة وخاصة الحربي في وضع أفضل من السابق. إما نظام التجنيد في الدولة الساسانية فكان إجباريا على الذكور من أسر النبلاء وبدون تقاضي أي اجر، ولم تزودهم بالأسلحة التي اجبروا على الحصول عليها من نفقاتهم الخاصة؛ في حين قام كسرى بدعم الفرسان من عامة الشعب وزودهم بالدواب والأسلحة على نفقة الدولة، لكن حظي الفرسان النبلاء بشرف قيادة المعارك' لما عرف عنهم من قوة ومهارة [3].

وجاء في وصف احد الكتاب المعاصرين الرومانيين عن الجيش الفارسي: "كانت فرقُ الفرسان كأنها صيغتْ من حديد، وقد غُطِّيَ جسدُ كلٍّ منهم بألواح ملتصقة به إلى درجة تجعل مفاصل الدرع الحديدية الصلبة تَتَحَرَّك في يُسر، وفقًا لحركة أعضاء الجسد، وكان للوجه قناعٌ يحميه، وهكذا كان من المتعذِّر تصويب سهم إلى الفارس ما لم يُسدد نحو الفتحات الصغيرة قبالة العينين، أو الثقبين الدقيقين أمام الأنف اللذين كان يتنفس الفارس منهما، وكان بعض الفرسان المسلحين بالحراب، يقفون بلا حراك؛ حتى ليظن أنهم شدوا إلى سلاسل من حديد، وبجانبهم يقف الرماة وقد مدُّوا أذرعهم؛ ليشدوا الأقواس المرنة، بحيث يلمس الوتر الجزءَ الأيمن من صدورهم، بينما السهم معلَّق في أيديهم اليُسرى، وكان السهمُ ينطلق بضغط محكم بالإصبع، فيُدوِّي في الفضاء ويُصيبُ من يُصيبه"[4].

---

(1) طه باقر، "تاريخ إيران القديم"، ص107.

(2) الطبري، ١٩٦١، **تاريخ الرسل والملوك**، ص220.

(3) آرثر كريستنس، "**إيران في عهد الساسانيين**"، ص190.

(4) آرثر كريستنس، "**إيران في عهد الساسانيين**"، مرجع سابق، ص198 .

قسم الجيش الفارسي الى عدد من الفرق أهمها: فرقة الخالدين: تميزت هذه الفرقة بشجاعة وجرأة أفرادها ولم يتجاوز عدد أفرادها عن عشرة آلاف رجل، أما الفرقة الثانية والتي عرف أفرادها بعدم خوضهم من الموت لذلك سميت بفرقة الفدائيين[1]. استخدم الجيش الساساني الفيلة في القتال حيث تلقي الرعب في قلوب الأعداء عند سماع أصواتها ورايتها تصطف خلف الفرسان[2].

أما أفراد الجيش من أهل القرى فكانوا غير مؤهلين للقتال بشكل مناسب، فكانت لهم مهمة حفظ النظام، وشكلوا القسم الأكبر من مؤخرة الجيش. وكانت لهم مهمة إحاطة وحماية عرش الملك ودفاع عنه حتى الموت؛ فقد كان الملك يحضر المعارك المهمة وقد حمل عرشه ووضع في وسط جنده وحاشيته[3].

أولى الجيش الفارسي الخيل رعاية خاصة، حتى الطبيب البيطري لها كان له مكانة خاصة ومرتفعة في الدولة؛ والذي جمع الأعشاب لعلاج الخيول. أما المؤن من طعام وشراب فكانت توزع بالتساوي على أفراد الجيش، في حين تم جمع العتاد من أسلحة ومعدات أخرى وحفظها في مخازن الجيش خلال فترات السلام[4].

وعلى طريق الإصْلاح العسكري، قام كسرى بالعناية بكل هذه الأمور، وتطوير ما يحتاج إلى تطوير، وكان همُّه إحداثَ تغييرات في القيادة العليا؛ حتى لا يتعرَّض لخيانات أو انقلابات من رجال الجيش[5]. وبُمقارنة وضع الدولتَيْن نجِدُ أن دولة فارس كانت تتمتَّع بالاستقرار، وقوة النظام الحاكم، وقوة الاقتصاد والجيش، وهي أمورٌ كانت تفتقدُها بيزنطة في هذه الحقبة.



(1) آرثر

(2) آرثر

(3) ابن 2، ص339.

(4) باقر

(5) آرثر

الشكل 4: خريطة توضح توزع القوى المختلفة في المنطقة خلال القرنين الرابع والسابع الميلاديين[1]

ثالثا: القبائل العربية

ظهر في شمال شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام خلال القرنين الرابع والسادس الميلاديين تكوينات سياسية عربية، ويطلق عليها ممالك أو إمارات، وكان أهمها إمارة الغساسنة على الحدود الشرقية للشام، وإمارة المناذرة على التخوم الغربية لنهر الفرات، وقد تأثرت هذه الإمارات العربية بالظروف والعلاقات الدولية خلال تلك الفترة، ولعل قيامهما على حدود القوى العظمى سبب من أسباب ذلك.

وقد ذكر الإخباريون أن الغساسنة، قوم ينتسبون إلى قبيلة عربية هي قبيلة أزد العربية[2]، التي سكنت جنوب شبه الجزيرة العربية، وقد هاجروا مع القبائل العربية التي خرجت من جنوب الجزيرة العربية[3]، بعد انهيار سد مأرب، أو حادثة سيل العرم، وذلك في نهاية الألف الأول قبل الميلاد[4]، وقد اختلفت الروايات حول تاريخ نزولهم في ارض الشام، تذهب عدد من الروايات إلى أن ذلك كان

---

(1) https://almaktba.org/19023 ./

(2) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن ت ٣٤٦ هـ، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج ١، بيروت، دار الأندلس، ص 323، ١٩٧٣ م.

(3) بيغوليفسكيا، نينا فيكتورفينا، **العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي**، ترجمة :صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص51، 1962.

(4) الأصفهاني، أبو الفرج (ت ٣٥٦ هـ)، "**كتاب الأغاني**"، ٢٤ جزءًا، بيروت، دار الثقافة، ص ٧٧، ١٩٥٧م

حوالي القرن الثاني أو الثالث الميلادي، واستقروا على مشارف الشام، بزعامة رجل يدعى جفنة[1]، وذهب بعضهم إلى أن الغساسنة استقروا في بلاد الشام في أواخر القرن الخامس الميلادي[2]، واستقروا جنوب سوريا في مكان عرف ببصرى، وبجوار قبيلة عربية عرفت بالضجاعمة، من آل سليح التي كانت ترعى مصالح البيزنطيين في بلاد الشام، وسيطر الغساسنة على عرب الشام منذ بداية القرن السادس الميلادي في عام ٥٠٢م تقريبًا[3]، وهذا التاريخ هو الأرجح، واتخذوا من مدينة بصرى عاصمة لهم، وبمضي الوقت استطاعوا التغلب على قبيلة الضجاعمة التي كانت قد تغلبت على قبيلة تنوخ من قبل، ثم نقلوا عاصمتهم إلى مرتفعات الجولان (الجابية)[4].

بعد أن تغلبوا على آل سليح، أصبحوا مسيطرين على الأمور في بلاد الشام، وفي هذا يقول ابن حبيب في كتابه المحبر، إن غسان عندما غلبت سليح خافت من أن تميل غسان إلى جانب الفرس، فأرسل اليهم الروم برغبتهم في اتخاذهم عمالًا لهم على بلاد الشام، وسيُكتب وبينهم كتاب ينص على أن يقوم الروم بمده بما يقارب أربعين ألف جندي إذا تعرضوا لهجوم العرب، ويقوم الغساسنة بمد الجيش الرماني بعشرين ألف من مقاتليهم إذا ما داهمهم العرب، وألا يدخل الغساسنة بينهم وبين الفرس[5].

بينما البيزنطيين أرادوا أن يتخلصوا من هجمات القبائل العربية المتكررة على حدودهم، وليأمنوا طرق التجارة، فلم يجدوا أفضل من إمارة الغساسنة، التي تولت بعد انتهاء أمر آل سليح، المنطقة الواسعة الممتدة من مدائن صالح إلى شمال حوران والجولان، وشمل نفوذهم بعض القبائل[6].

واختلفت الأراء حول بداية قيام دولة الغساسنة، حيث رأى بعضهم أنها قامت خلال القرن الخامس الميلادي، واستمرت حتى ظهور الإسلام، كما اختلفت الآراء حول عدد ملوكهم وفترات

---

(1) نولدكه، تيودور، **أمراء غسان من آل جفنة**؛ ترجمة :بندلي جوزي وقسطنطين زريق، بيروت المطبعة الكاثوليكية، ص 40، ١٩٣٣ م

(2) عباس، إحسان، "**تاريخ بلاد الشام ما قبل الإسلام حتى بداية العصر الأموي**"، عمان، الجامعة الأردنية، ١٩٩١ م، ص ١٢٦

(3) Shahid, I. **Byzantium and the Arabs in the Fourth Century** . Washington, D.C., Dumbarton Oaks, 1984, p. 384

(4) نولدكه، **أمراء غسان**، ص4

(5) ابن حبيب، محمد بن أمية بن عمرو الهاشمي، ١٩٤٣، **المحبر**، تحقيق :إيلزه ليختن شتينز، بيروت، المكتب البخاري للطباعة والنشر، ص30-40

(6) نولدكه، **أمراء غسان**، ص4

حكمهم التي جعلوها تتراوح بين الأحد عشر حاكماً، والاثنين والثلاثين، ولعل السبب في هذا الاختلاف هو ضياع معظم آثار بني غسان، واختلاط أخبارهم بأخبار القبائل العربية التي وجدت في بلاد الشام قبلهم، إضافة إلى التركيز على التاريخ الحضاري والأدبي للغساسنة أكثر من تاريخهم السياسي[1].

قامت مملكة المناذرة في شمال شبه الجزيرة العربية وذلك في الفترة نفسها التي قامت فيها دولة الغساسنة، حيث نسبت هذه المملكة العربية الشمالية إلى قبائل تنوخ[2] التي نزحت بجماعات كبيرة من جنوب شبه الجزيرة العربية[3].

واتجهت هجرة المناذرة نحو بلاد ما بين النهرين خلال القرن الثالث الميلادي، واستقرت قريبًا من نهر الفرات، ومن ثم قامت مملكة المناذرة في بلاد العراق، كدولة مستقلة ومتحضرة. واتخذت من مدينة الحيرة عاصمة لها، وعرفت هذه المملكة بعدة مسميات[4].

قد حظيت الحيرة بموقع جغرافي متميز بين أراضي بلاد الرافدين وصحراء العرب؛ لذلك أفاد من موقعها الفرس؛ لأنها كانت بمثابة الدرع الواقية أمام غزوات القبائل العربية المفاجئة، وأيضا ضد الروم في حروبهما المتصلة بهم؛ وكانت تجد دعمًا واعترافا من جانب الفرس .ولكن موقعها ذاك جعلها تشترك في كل الحروب التي دارت بين الفرس والرومان بعد ذلك في محاولة للسيطرة على أراضي الهلال الخصيب، وبما في ذلك اهم المحطات التجارية في بلاد الشام ومن أهمها البتراء[5].

ومن الملاحظ أن مملكة المناذرة استطاعت بمضي الوقت أن تكون لها علاقات سياسية متبادلة مع القبائل العربية الأخرى، والبيزنطيين، والفرس، واختلفت طبيعتها، وفق سياسة المصالح والأهداف، وكان لهذه المملكة دور مهم بين الممالك العربية، فقد كان على تواصل مع الأنباط والحضر، فكانت الآلهة في هذه المدن هي نفسها موجودة في هذه المملكة.

---

(1) الطيباوي، عبد اللطيف، 1966 م، **حاضرات في تاريخ العرب والإسلام**، الجزء الثاني، بيروت.

(2) عرف المناذرة بالتنوخيين، وهم مزيج من قبيلتي قضاعة والأزد، خرجوا من جنوب شبه الجزيرة العربية.

(3) ابن حبيب، **المحبر**، ص 40.

(4) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ص٤٣ ؛ الحموي، **معجم البلدان**،ج ٢،ص ٣٢٨ .٨١ - ٣٢٩ . نيكلش، رينولد،١٩٦٩، **تاريخ الأدب العربي وصدر الإسلام**، ترجمة :صفاء خلوصي، بغداد، مطبعة المعارف، ص ٨٠ .١٥٦؛ علي، جواد، ١٩٦٨، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج ٣، بيروت، دار العلم للملايين، ص .١٥٥

(5) النصرات، محمد، ٢٠٠٩، **تاريخ جنوب الأردن خلال الفترة البيزنطية ٣٢٤م من وادي الحسا شمالاً حتى خليج أيلة العقبة جنوبا**، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، ص ١٠٤.

أما ملوك المناذرة الذين حكموا، فقد كانوا مضطرين إلى مسالمة الفرس بعد أن أسقطوا الدولة الفرثية[1]، واستولوا على ممتلكاتها، وقد كانت العراق من ضمن هذه الممتلكات، وأصبحت الأمور في يد عمرو بن عدي الذي جعل من الحيرة عاصمة لدولته، وذلك في الفترة من ٣٢٨ م[2]. ثم جاء امرؤ القيس الأول (268– 288م) الذي استغل الأوضاع السياسية السيئة التي كانت تمر بها الفرس بعد وفاة به رام، واضطراب الأحوال في بلاد فارس، وتمكن من بسط سيطرته على أغلب القبائل العربية في بلاد الشام وبلاد الرافدين، ومن هنا جاء لقب ملك العرب الذي من المؤكد أن نقش قبر أمرؤ القيس الأول المتوفى سنة (٣٢٨م) مكتوب عليه "هذا قبر امرؤ القيس بن عمرو ملك العرب كله" وهو النقش المعروف بنقش النمارة[3]، وهذا الحاكم له إنجازات عظيمة منها تكوين أسطول بحري في البحرين، وسيطر على مدن تمتد من بلاد الرافدين وبلاد الشام إلى نجد والحجاز، حتى نجران.

ويمثل عهد المنذر بن امرئ القيس، والمعروف بلقب (المنذر بن ماء السماء)[4] حقبة من حقب وأحداث القرن السادس الميلادي، وهو القرن الذي شهد تطورات وتحولات سياسية خطيرة في مفهوم العلاقات الدولية، حيث اتسمت فيها العلاقات السياسية بين الفرس والمناذرة بالتوتر، والتذبذب، وساءت العلاقات السياسية بينهما، كما اتخذت العلاقات العربية طابعاً حربيًا، وساءت علاقة المناذرة بمن حولها من القبائل العربية، وزاد العداء بينهم، ففي فترة حكم المنذر خاصة مع قبيلة بكر بن وائل، ومملكة كندة، حيث كان للمصالح السياسية، والأهداف الخاصة دور كبير في حدوث تغير في

---

(1) الدولة الفرثية هي دولة أسست على يد قبيلة بارني احد القبائل البدوية بالقرب من بحر قزوين، وامتد حكم هذه الدولة حتى وصل هرارة (الباكستان حاليا)، ورغمة من قربها من الدولة الساسانية (الفارسية) الا ان هذه الدولة تأثرت من الحضارة اليونانية كثير ودارت بينها وبين الدولة الرومنية العديد من الحروب فرض السيطرة على ارمينا؛ يمان، عامر، ١٩٧٨، **محاضرات في التاريخ القديم**، الموصل، مطبعة جامعة الموصل، ص ٢٢٣ وما بعدها من صفحات.

(2) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، 1996، **تاريخ اليعقوبي**، ج ١، بيروت، دار صادر، ص ١٧٠؛ ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، ١٩٦٠، **المعارف**، تحقيق: ثروت عكاشة، ج ٢، مصر، دار المعارف، ص ٢١٨.

(3) الطبري، **تاريخ الرسل**، ج ١، ص 201.

(4) لمزيد من المعلومات انظر الفصل الثاني.

العلاقات الدولية في تلك الفترة، حيث اتسمت العلاقات الدولية خلال القرن السادس الميلادي بتقلبات خطيرة.[1]

رابعا: الأوضاع الاقتصادية في جنوب بلاد الشام:

تعد بلاد الشام القلب النابض لقارات العالم القديم، فمن خلالها عبرت قوافل التجارة من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، تحمل التوابل والحرير من أقصى شرق الصين عبر طريق الحرير إلى الأراضي البيزنطينية في الغرب مرورا بأراضي بلاد فارس؛ أو من أقصى جنوبي شبه الجزيرة العربية؛ ومن تلك الطرق الطريق العابرة لوادي الرافدين وبالقرب من نهر الفرات، لتنتقل القافلة عبره باتجاه الغرب متجها الى بلاد الشام عابرا لمدينة الرقة، ثم إلى الأسواق الداخلية في بلاد الشام، ومنها تنطلق مرة أخرى باتجاه الأسواق الخارجية في مدن حوض البحر المتوسط وشبه الجزيرة العربية[2]، وكذلك حُملت البضائع عبر طرق التجارة البحرية القادمة من مناطق جنوب شبه الجزيرة العربية، مرورا بالبحر الأحمر وصولا الى ميناء ايلة (العقبة) ثم الى البحر الأبيض المتوسط من خلال الانتقال الى ميناء غزة.

بذلك شهدت المنطقة تطورا اقتصاديا كبيرا خاصة في القرن السادس الميلادي، وتمثل ذلك بالإصلاحات التي قام بها الملوك والأباطرة الفرس والرومان على حد سواء. وذلك لإدراكهم أهمية العامل الاقتصادية وتأثيره على نواحي الحياة المتعدد الأخرى.

ومن أبرز النتائج الاقتصادية التي شهدتها المنطقة في تلك الفترة، هو تخفيف من عبئ الالتزامات الاقتصادية للسكان، والعمل على تحقيق رغباتهم ومصالحهم. فنجد إن كل من الامبراطور جستنيان، والملك أنوشروان قاما بتخفيف سوء الأحوال الاقتصادية لرعاياهم. ولتلك الأعمال نتائج إيجابية واضحة على السكان المنطقة، حيث نجد انهم كانوا على وعي تام بحقوقهم، حيث قاموا بالعديد من المحاولات للحصول عليها، وأيضا طالبوا برفع الظلم عنهم من خلال عدد من الثورات.

---

(1) حول النقش انظر :ابن قتيبة، **المعارف**، ص ٢١٨، الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض**، ص ٦٦ ؛ الطبري، **تاريخ الرسل**، ج ١، ص 171-834.

(2) ابن قتيبة، **المعارف**، مرجع سابق، ص ٢١.

ونجد من خلال الدراسات الاقتصادية التي قام بها العديد من الباحثين في المنطقة خلال الفترة الواقعة بين القرنين الرابع والسابع ميلاديين، ان المنطقة شهدة تطورا في مجالات اقتصادية مهمة، واهمها الزراعة والتجارة، والصناعة. حيث زاد الاهتمام بالأرض وحدودها، كما أنشئت العديد من مشاريع الري وفي ذلك دليل على الاهتمام بالزراعة. كما حفظت الإصلاحات المتعددة للفلاحين ملكيتهم للأرض ورفعت يد الظلم عنهم[1].

اما في مجال الصناعة فنجد الاهتمام بتطوير الحرف المتعددة خاصة تلك التي تلزم الحرب، وذلك لهتم الملوك بهذا النوع بشكل خاص. كما ظهرت أنواع جديدة من الصناعات نتيجة التطور الذي شهدته الزراعة في تلك الفترة[2].

في حين كان التجارة في تلك الفترة في حالة من الاضطراب والفوضى بسبب الحروب والمعارك الدائرة بين القوى العظمى في المنطقة[3]. وكما ذكرنا سابقة فان الموقع الاستراتيجي لجنوب بلاد الشام واتصاله بالطرق التجارية المتعددة، ساعدة على تطور التجارة خلال فترات السلم؛ وأعطى فرصة في البحث على طرق جديدة للتجارة في حال انقطاع الطرق المعتادة بسبب الحروب.

ولم يقتصر تأثير الصراع في المنطقة على التجارة فقط، فقد أدت الحروب الى خسارة العديد من القوى العاملة، وأدى الخراب الذي نتج عن المعارك في الأراضي الزراعية، الى صعوبة استثمارها وتباطء في عجلة البناء والإنتاج في تلك الأماكن[4].

رابعاً: الصراع بين الامبراطوريتين

قد بداء الصراع بين الإمبراطورية الرومانية، والإمبراطورية الفارسية لفرض السيطرة وإثبات القوة منذ حداثة نشأتيهما، فخاضا العديد من الحروب على مدى قرون، تخللها فترات مختلفة من الهدنة والسلام، وسرعان ما كانت تنقد معاهدات السلام لسبب أو لأخر، لتستأنف القوتين صراعهما الذي يعتبر الأطول في التاريخ القديم.

---

(1) العلان، عدنان، 2009، **فارس وبيزنطة**، دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، جرمانا، ص220-221.

(2) العلان، عدنان، 2009، **فارس وبيزنطة**، ص221.

(3) لمزيد من المعلومات عن تلك الصراعات انظر ص 31 من هذا الفصل.

(4) العلان، عدنان، 2009، **فارس وبيزنطة**، ص 221

وللوقوف على أسباب هذا الصراع الذي امتد لقرون وخلف الكثير من الدمار؛ فيما يلي وصف لاهم أسبابه:

1- لقب الدولة والقوة العظمى في المنطقة؛ حيث إرادة الإمبراطورية البيزنطينية التي تمتعت بأتساع جغرافي الأكبر في قارات العالم الثلاثة القديمة[1]، فيحدد المؤرخين من جبال القوقاز شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ومن السودان جنوبا إلى إسكتلندا شمالا. حيث شملت قارة أوروبا بالإضافة إلى شمال القارة الإفريقية، وبلاد الشام وجزء من بلاد الرافدين في آسيا[2]، فالاتساع الكبير لهذه الدولة كان مصدر قوة لها كما كان دافعا لها لزيادة في السيطرة، ودفعها طموحها هذا إلى زيادة أنصارها والدخول في معارك وحروب مع أعدائها لفرض سيطرتها.

وكانت الإمبراطورية الساسانية هي العدو الأكبر لها، حيث تميزت الدولة الفارسية بامتداد واسع في شرق آسيا، فوصلت سيطرتها إلى الهند من الشرق وحتى نهر الفرات في الغرب، ومن المحيط الهندي جنوبا إلى بحر قزوين شمالا. فهذا دفع القوة الساسانية لمطارة طموح القوى العظمى مما جعل معاركها وحروبها مع جارتها البيزنطينية يزداد ضراوة.

في حين تمتعت بلاد فارس بالاستقرار السياسي على مستوى الحكم، بالإضافة حضارتها المميزة بترفها وثرائها، وتمتعت بالتطور اقتصادي مميز يحميه جيش قوى وعظيم[3]، وهذه المقومات ساعدتها على رفع من طموحتها ومطابعها في السيطرة على مساحات أوسع، ومفرض نفوذها بشكل اكبر؛ وسعت لتحقيق ذلك بالوسائل المختلفة.

2- الصراع على المناطق الفاصلة (الحدودية) ما بين الدولتين: شهدت منطقة نهر الفرات أولى المعارك بين القوتين؛ وأيضا أكبر عدد من المعارك فقد تسابقه القوتين على فرض سيطرتها على المنطقة مستغلة الظروف الداخلية المتردية في داخل القوة الأخرى. فشكل الشريط الحدودي خط ساخن تشد على طوله المعارك من حين إلى أخر. وفرض المنتصر في كل معركة نفوذه على المنطقة المتنازع عليها، فتجد تلك المناطق متأرجحة في ولائها السياسي بين الدولة الساسانية تارة والى الدولة البيزنطينية تارة أخرى. لشدة هذا الصراع قام الإمبراطورَ دقلديانوس (284 – 305)

---

(1) قارات العالم القديم: آسيا، أوروبا، وأفريقيا.

(2) أوليندر، جوناز، ١٩٧٣، **ملوك كندة من بني آكل المرار**؛ ترجمة وتحقيق :عبد الجبار المطلبي، بغداد، ص ١١٤

(3) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج ١ مرجع سابق، ص ٢١٤؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج ١، مرجع سابق، ص٤٨٢ .

بنقل العاصمة إلى نيقوميديا وذلك يكون على مقرب من مناطق الصراع مع الدولة الساسانية في الجهة الشمالية الشرقية؛ حيث كان هذه الإمبراطور الأول كما صنفه المؤرخين الذي نقل عاصمته إلى المقربة من الحدود لحماية الدولة.

ولكسب ولاء سكان المناطق الحدودية، اتجهت العديد من البعثات الدبلوماسية إلى تلك المناطق وسعت لكسب قادت السكان المحلين، وأيضا وجهت القوى العظمى عدد من البعثات الدينة بالإضافة إلى الدبلوماسية. مما أدى إلى اعتناق بعض المناطق الديانة المسيحية مما اثأر غضب الدولة الساسانية، وكانت أرمينية من المدن التي اعتنقت النصرانية وذلك اشعر الفرس فقد سيطرتهم عليها[1].

بل كثيرًا ما أثار الصراعُ حول مدنٍ أو مناطق صغيرةٍ حربًا عنيفة بين الدولتين، مثلما حدث في عهد الإمبراطور جستنيان (527 – 565م)، حينما ثار الخلافُ مُجدَّدًا حول منطقة حدودية، والتي لم تكن المعاهدات السابقة قد حدَّدت الموقف منها بشكل دقيق؛ مما أشْعَلَ الحرب بين هاتين القوتين[2].

خلال الصراع بين الفرس والبيزنطيين على السيادة، حاول الطرفان كسب ود القبائل العربية القاطنة على طول شريط الحدودي بينهما، فستطاع الفرس كسب قبائل الحيرة في صفهم، بينما كسب البيزنطيون قبيلة الضجاعمة إلى صفهم، ومن بعدهم الغساسنة؛ ليساندوا الإمبراطورية البيزنطيه في حربها ضد العدو اللدود الفرس، كما حاول الطرفان كسب ولاء حاكم اليمن (أبرهة) من خلال البعثات الدبلوماسية ليتموا بذلك سيطرتهم على جنوب الجزيرة العربية [3].

بعد مقتل الإمبراطور الروماني موريس على يد فوكاس اعلن الملك الفارسي كسرى الثاني (590 – 628م) الحرب مستغلا مقتل صديقه وصهره موريس ذريعة لذلك، وسببا للعود للقتال ضد البيزنطيين، بإضافة إلى ذلك دعم قرار بمتابعة الحرب بعدما لجأ اليه ثيودسيوس أحد أبناء موريس الذي نجى من القتل وطلب المساعدة من كسرى الثاني، وأراد بذلك رد جميل الإمبراطور موريس الذي ساعده في العودة إلى الحكم.

---

(1) باقر، طه، وآخرين، 1980، تاريخ إيران القديم، مطبعة بغداد، ص 40.

(2) ليلى عبد الجواد إسماعيل، "**الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور هرقل**"، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٥م، ص 19.

(3) باقر، طه، وآخرين، "**تاريخ إيران القديم**"، **ص: 44**.

وفضلا عن كل تلك الأسباب كان الرغبة في استعادة السيطرة على طريق الحرير التجاري، الذي كان بيزنطيون يسطرونه عليه هو اهم أسباب الصراح الدائم ما بين الدولتين[1].

وتَذكر احدى الروايات أن كسرى الثاني حاول في بادئ الامر اتباع الطرق الدبلوماسية مع البيزنطيين، فطالب بخلع فوكاس، وإعادة العرش إلى ثيودسيوس بن موريس، حيث قام بإرسال رسولا الى البيزنطيين الا انهم قاموا باسر الرسول، ثم أرسلوه مقيدا إلى بلاده، مما زاد من غصب كسرى وأمر بمهاجمة الأراضي البيزنطينية[2]؛ وفي رواية أخرى أن الظروف السياسية الداخلية المضطربة للدولة البيزنطينية في بداية عهد فوكاس، دفعته لقبول السلام والهدنة من الفرس؛ رغم ما عرف عنه من دموية وعنف خلال معاركه.

في ذلك الوقت اختار كسرى رومزان Romizan لقيادة جيشه، لما عرف عنه من شجاعة وقوة، وأوصاه أن يكون حازما ويتبع العنف في معاركه مع البيزنطيين، واطلق كسرى على قائده اسم شهرباراز Sahrbaraz[3]، وقام هذا القائد بقيادة معظم المعارك الساسانية منذ بداية عام 603م.

انطلق شهرباراز مع ثيودسيوس على رأس الجيش كبير ليخوض أولى معاركه، في مدينة دارا Dara[4]؛ إلا انه تقوف على مشارف المدينة لينتظر الكسرى الذي قرر الالتحاق والمشاركة في الحرب، وعند وصول كسرى قام تقسيم جيشه إلى جزئيين: القسم الأول انطلق لحصار مدينة دارا، بينما قاد الجزء الثاني متجها إلى مدينة الرها. وفي ذات الوقت أعلن القائد البيزنطي نارسيس Narsesالسؤول عن منطقة بلاد الرافدين، تمرده على الدولة البيزنطينية، فدخل بجيشه مدينة الرها وسيطر عليها، فأرسل فوكاس القائد جيرمان Germain مع جيش كبير لردعه واستعادة المدينة؛ وانتهت المعركة بين القائدين بانتصار جيرمان Germain ونفي القائد نارسيس Narses إلى القسطنطينية[5]. ظل كسرى مراقبا لمعارك الجيش البيزنطي الداخلية، واستغل ضعفهم واستولى على

---

[1] Camb, med. Hist, vol.2, p.284

[2] ليلى عبد الجواد إسماعيل، "**الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور هرقل**"، ص14 .

[3] شهرباراز بالفارسية تعني: خنزير الملك، وكان الخنزير رمزًا للقوة والرجولة في فارس؛ انظر: آرثر كريستنس، "**إيران في عهد الساسانيين**"، ص127 .

[4] دارا: مدينة حصينة بناها الإمبراطور أنستاسيوس (491 – 518م) لحماية الحدود البيزنطية من هجمات الفرس، وكانت أيضًا محطة تجارية مهمة، وكانت تُسمَّى مدينة أنستاسيوس.

[5] Osrogorsky, Op.cit, P.92

مدينة الرها، ثم عاد إلى دارا التي استطاع جيشه السيطرة عليها بعد حصار طويل، ثم اطلق من تلك المدينتين ضربات قوية للجيش البيزنطي في أرمينية، حتى استطاع ان يفرض سيطرته عليها بعد حرب دامت خمسة أعوام[1].

واصلت الجيش الفارسي هجماته على الأراضي البيزنطينية، مستغلا الصراعات الداخلية وضعف القوة البيزنطينية؛ حيث قام القائد شهرباراز في عام 606م بشن هجوم على بلاد ما بين النهرين، وحصار ديار بكر، ليفرض سيطرت الفرس على أجزاء كبيرة من بلاد الشام في عام 607م[2].

وفي ذات الوقت مد الجيش الساساني زحفه الى آسيا الصغرى شمالا، فجتاحوا قيصرية، ومتد تقدمه حتى وصلوا إلى خلقيدونية على مديق البوسفور عام 608م؛ وذلك اقترب الجيش الفارسي بحدود العاصمة البيزنطينية القسطنطينية؛ ورغم محاولات الجيش البيزنطي لردع التقدم الفارسي الذي احرف المدن الساحلية التي مر بها، إلا انه مني بهزيمة نكراء.[3]

ولكم يكتفي كسرى الثاني بمقتل فوكاس ليوقف حربه على بيزنطة، بل أشدت حربه حتى بعد تولي هرقل الحكم على بيزنطة[4].

مما اشعر الإمبراطور هرقل بصعوبة مواجهة الجيش الفارسي الذي وصل إلى ذروة قوته في تلك الفترة، وذلك بسبب ضعف جيشه المنهك بسبب صراعه الداخلي، عدا ان الوضع المالي للدولة كان في اسوء حالاته. لذلك ارسل البعثات الدبلوماسية المحملة بالهدايا ووجه عدد من الخطابات التي وصفت بالعظيمة طلبا للهدنة وسلام مع الفرس؛ فحمل خطابه بين طياته مديح وإطراء للكسرى، لاستمالته وطلب السلام بعدما اعلمه بمقتل فوكاس، إلا أن كسرى لم يستجب لطلبه، ورفض عرضه بالاستيلاء على الهدايا وقتل الرسول؛ وهدد بالسيطرة على الإمبراطورية البيزنطينية كاملة[5].

---

(1) Camb, med. Hist, vol.2, p.285

(2) Vasiliev, Op.cit, vol.1, P.213.

(3) موس، "ميلاد العصور الوسطى"، مرجع سابق، ص230.

(4) Theophanes, Op.cit, P.429

(5) أسد رستم، "الروم"، ج1، ص223

فأعد خطة كسرى الفرس خطة لسيطرة على الجناح الشرقي من الإمبراطورية البيزنطينية، مستفيدا من الأوضاع الداخلية السيئة التي سادت الدولة البيزنطينية في تلك الفترة، وساعده التراجع العسكري البيزنطي في كثير من المناطق، مما دفع القائد الفارسي شهرباراز بالتوجه الى أنطاكية[1]، التي تعد احدى اكبر المدن البيزنطينية في شمالي بلاد الشام، وأكثرها حصانة، ولكنها لم تصمد كثيرا أمام الجيش الفارسي، حيث سيطر عليها القائد شهرباراز وقتل بطريركها، واسرى اعداد كبيرة من سكانها وجنودها، وواصل تقدمه الى أفاميه وحمص، والتي سيطر عليها في عام 611م[2].

في ذات الوقت قام كسرى بارسال القائد شاهين (Sahin) على راس جيش الى الغرب بهدف السيطرة على اكبر قدر من الأراضي، وحماية جيش شهرياراز الذي توجه جنوبا نحو فلسطين، وتحسبا لاي هجوم بقدم عليه هرقل من قلقية. استطاع شاهين فرض سيطرته على قيصرية عاصمة إقليم قبادوقيا[3]. كما حقق عدد من الانتصارت في الجزء كبير من سوريا في نهاية عام 612م؛ مما أدى الى قطع الاتصالات يسن العاصمة البيزنطينية وولاياتها في فلسطين ومصر وشمال افريقيا.

اثارت تلك التحركات الإمبراطور هرقل فقام بطلب القائد فلبيكوس Philippicus صهر الإمبراطور السابق موريس (539 –602م)، لخبرة العسكرية في القتال وجعله قائدا للجيوش البيزنطينية، لاسترداد سوريا[4].

والتقى جيش الفارسي بالجيش الروماني بقيادة الإمبراطور هرقل، وابن عمه نيكتاس في معركة دامية على أبواب انطاكية، وبرغم من ذلك فد انتصر الجيش الفارسي موجها بذبك ضربة كبرى للامبراطورية البيزنطينية؛ وبذلك فتحوا بوابة الطريق باتجاه الأراضي سوريا على مصرعيها،

---

(1) المعروف أن أنطاكية تكتسب أهميةً خاصة لدى النصارى؛ فهي أول مدينة تقام بها كنيسة نصرانية، وكانت تتمتَّع بحصانةٍ طبيعيةٍ وأسوار منيعة، ولكنها سقطت هذه المرة بسهولة؛ لأن هناك موجة من الاضطرابات والشغب شغل المدينةَ، وقادَهُ اليهود في بداية حكم هرقل؛ انظر :أسد رستم، "كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى"، بيروت، المكتبة البوليسية، 1988م، ج1، ص154

(2) Vasiliev, Op.cit, vol.1, P.198.

(3) أسد رستم، "الروم"، ج1، ص223.

(4) Theophanes, Op.cit, P.430.

حيث واصل شهرباراز تقدمه حتى دخل دمشق في عام 613م، وسيطر على جميع المدن الساحلية دون أي مقاومة[1].

وكان لسقوط بيت المقدس بعد الحصار الشديد، والوحشية التي دخل فيها الجيش الفارسي له الاثر كبير ليس على الإمبراطورية البيزنطينية فقط؛ بل على النصارى بشكل عام، فعم الحزن وزاد ضعف القسطنطينيةَ شعورٌ، بسبب زوال هيبة الإمبراطورية بهذا الشكل[2]. وبعد تلك الهزيمة استطاع الفرس ان يفرض سيطرته على كامل بلاد الشام، مما زاد من طمعهم في ما تبقى من أراضي الإمبراطورية البيزنطي.

فانطلق الجيش الفارسي متجها الى اهم المدن الاقتصادية في الدولة الرومانية وهي مصر، فقد جعلها موقعها في نقطة وصل بين قارتي آسيا وشمال أفريقيا منطقة واستراتيجية ومهمه لدولة البيزنطينية؛ وانطلاقا من ذلك طمع بها الفرس فبدا بالهجوم على مص من خلال صحراء سيناء في عام 616م؛ فاستطاع رينوقولورا (Rhinokulura) السيرة على العريش وأيضا على عدد من المدن الأخرى على طول الطريق الى الإسكندرية، ومنها الفرما وممفيس[3].

واستطاع دخول الإسكندرية بعد حصار طويل[4]. وكان سقوط مصر ضربة قاسية أخرى للدولة البيزنطينية، حيث كانت مصدرا للأغلال من القمح وموقع استراتيجي واربط لتجارة على البحر الأحمر؛ مما أدى إلى تضخم الأزمة الاقتصادية فيها[5]. وظلت مصر تحت سيطرة الفرس لمدة تزيد عن تسعة قرون.

وفي ذات الوقت نجح، كان الجيش فارسي في عام (616م) في الوصول إلى كريسبوليس Chrysoupoiles سكوتاري حاليًّا، ويقيم معسكره له في خلقدونية على مضارب العاصمة البيزنطينية، حيث أصبحت العاصمة الرومانية على مرمى نظر المعسكر الفارسي[6].

---

(1) Camb, med. Hist, vol.2, p.289.

(2) فيشر، "**تاريخ أوربا العصور الوسطى**"، مرجع سابق، ص118.

(3) بتلر، "**فتح العرب لمصر**"، مرجع سابق، ص53.

(4) سايروس ابن المقفع، "تاريخ بطاركة الإسكندرية، سلسلة التراث العربي المسيحي"، القاهرة، مطبعة دار العالم العربي، 1987م، ص221.

(5) محمود سعيد عمران، مرجع سابق، ص71.

(6) Ostrogorsky, Op.cit, P.86.

وذلك كان أكبر تهديد للإمبراطورية البيزنطينية؛ فقد عاش اهم المدينة حالة من الرعب لخوفهم من الهجوم الفارسي المتوقع في أي لحظة؛ وقد انتهج الجيش الفارسي أسلوب الحرق والتدمير لكل المدن الساحلية والتي على مقربة من العاصمة. وفي ذات الوقت كان الوضع الداخلي في المدينة لازال مطربا، بالرغم من اعتلاء هرقل العرش منذ عدت سنين.

فانتهج هرقل أسلوب المفاوضات مع القائد الجيش الفارسي (شاهين)، وكان بهدف من تلك المفاوضات إيجاد وقت لمغادرة العاصمة والتوجه إلى شمال إفريقيا ليعيد تجهيز جيشه؛ فقام بإرسال الهدايا إلى القائد الفارسي مع طلب بعقد هدنة وسلام مع الفرس؛ فانتهت المفاوضات بإرسال الوفد البيزنطي إلى كسرى لينظر في امر الهدنة[1].

إلا أن كسرى غضب غضبا شديد من شاهين لإجرائه المفاوضات مع الروم؛ فأرسل أوامره للهجوم على العاصمة الرومانية منطلقا من خلقيدونية في عام 619م، على متن عدد كبير من السفن؛ لكن ضعف الجيش الفارسي في المعارك البحرية، حملتهم هزيمة نكراء، بعد معركتهم مع الجيش البيزنطي المعتاد على البحر؛ مما أدى إلى انسحاب الجيش الفارسي من المنطقة [2].

3- الصراع حول طرق التجارة الدولية: تعتبر الطرقة التجارية الدولية نقطة قوة للدولة المسيطرة عليها، لذلك محط أنظار القوتين العظميين في المنطقة واحد اهم أسباب صراعهما. فكان لتحكم بالطرق التجارية مصدرة للثراء والقوه الاقتصادية للدولة[3]، وكانت معظم التجارة العالمية خلال العصور الوسطى تصل بين الشرق الأقصى والبحر المتوسط، فكانت أوربا تستورد كل من الأعشاب، وخشب الصندل، الهندية، في حين تستورد الحريرَ من الصين، وتعبر تلك المواد خلال الطريق التجاري المعروف باسم طريق الحرير[4].

فسلكت التجارة طرقة عدة منها: الطريق العابر لتركستان متوجها إلى بحر قزوين في الشرق، او عبر طريق الشمالي مارا بنهر الفولجا، ثم البحر الأسود، أما الطريق الجنوبي فعبر شمال إيران متجها الى نصيبين على الحدود الرومانية، أو عبر طريق أرمينية نحو طرابزون، أما الطريق

---

(1) ليلى عبد الجواد، "**الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور هرقل**"، مرجع سابق، ص227.

(2) Camb, med. Hist, vol.2, p.285.

(3) Haldon, 1990

(4) ستيفن رنسليمان، "**الحضارة البيزنطية**"، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد (القاهرة: 1961م)، ص100؛ لمزيد من المعلومات عن هذا الطريق انظر الفصل الثالث في هذه الاطروحة.

البحري فعبر الخليج العربي نحو سوريا عن طريق البحر الأحمر إلى مصر أيضا. ولم تستطيع لقوافل البيزنطينية تجنب المرور ببلاد فارس الا عبر طريقان الأول في أقصى الشمال الذي اعتمد فيه الى الهدنة مع أمم منطقة السهوب، اما الطريق الجنوبي البحري فكان لابد من السيطرة على منطقة السويس للحفاظ على سلامة القافلة البحرية.

ولمرور معظم الطرق التجارية بأرض فارس، جعل الفرس يفرضون عدد من الرسوم والضرائب المجحفة على القوافل البيزنطينية، في كثير من الأحيان، أو تقطع الطرق تماما خلال فترات الحرب منطقة تهديد لتجارة الدولة الرومانية، ومن بعدها الدولة البيزنطينية، فما كان لدوله البيزنطة إلا أن تحافظ على الطرق الغير مارة بالأراضي الساسانية، لذلك زادت من بعثاتها الدبلوماسية إلى الممالك الهندية والتركية والسهوب ومملكة أكسوم الحبشية للحفاظ على الطريقين الشمالي والبحري. وذلك بتوقيع اتفاقيات مع كل منها لحماية القافلة البيزنطينية[1].

إن التداخل في الطرق التجارية جعلها اهم أسباب الصراع بين الدولتين، حيث إنها المصدر أساسي في الدعم الاقتصادي، وبانقطاعها سبب في ضعف الدولة، ومما يسله هزيمتها وسيطر عليها.

4- **الاختلاف الديني والثقافي:** عبد الرومان عدد من الآلهة، كما قاموا بعادة الإمبراطور؛ لاعتقادهم بأن نسله يعود إلى نسل الآلهة، فهتموا بهذه الاله وقاموا لها المعابد الضخمة في أثينا وروما والتي ما زالت بقاياها واضحة حتى الان[2].

واطلق عدد من الأباطرة الحرب على الديانة في بداية ظهورها، وبقي الوضع كذلك حتى اعترف فيها الإمبراطور قسطنطين الأول إعترافا رسميًّا، من خلال مرسوم ميلان ؛ وهو مرسوم أصدره سنة 313م، لجذب النصارى إلى صفه بعد زيادة عددهم في الدولة من ناحية وحماية نفسه من منافسيه في الدولة. وتضمن مرسوم ميلان الاعترافَ بالنصرانية كإحدى ديانات الإمبراطورية، وأعطى لرعاياها الحق في العبادة والظهور. فبدأت الديانة النصرانية تنتشر بشكل واسع داخل الإمبراطورية، حتى أصبحت هي ديانةَ الدولة الرسمية وأما الفرس فقد عرفوا بعبادتهم للنار، وكان لديانتهم معابدها وطقوسها الخاصة، وظلت تلك الديانة الرائجة في الدولة، حتى ظهور الديانة

---

(1) ستيفن، "**الحضارة البيزنطية**"، مرجع سابق، ص 100.

(2) بارو، ر. هـ، "**الرومان**"، ترجمة: عبدالرزاق يسري، القاهرة، دار النهضة العربية، 1968م، ص 100.

الزركشتية[1]. ثم ظهرت المزدكية التي كانت عبارة عن حركة اجتماعية تستند على فكر ديني منبثق من الزركشتية والمانوية، أسسها مزدك ونها فيها عن الخصومات والاقتتال، وجعل من الأموال والنساء مباحة للجميع فهم شركاء فيهم كما هو الحال في الماء والكلأ. فوجد هذه الأفكار استحسان من الطبقات الدنيا في الدولة، بينما حاربها الطبقات العليا والأرستقراطية[2].

ولوجود هذا الفرق الواضح بين ثقافة كلا القوتين من الناحية الدينية والفكرية والثقافية؛ وازدراء كل قوة لديانة نظيرتها. مما اطفى طابع الصراع الديني في المعارك على الأراضي الحدودية. فتجد ان الفرس يضهدون النصارى في أراضيهم، والأماكن التي يسطرون عليها. ومنعوهم من بناء كنائس أو القيام بعباداتهم وشعائرهم[3]، وكانت كلتا الدولتين كانت لا ترتدع عن حرق وتخريب الكنائس أو المعابد في أعقاب الانتصار في المعارك.

انطلاقا مما تم توضيحه سابقا عن أسباب الصراع بين القوتين، نجد ان كلا القوتين تستغل حالات الضعف الداخلي لدولة الأخرى وتجد فيه طريقا سهلا لفرض سيطرتها[4]. وساعدت تلك العوامل على صراع دموي وطويل امتد لعدد من القرون بين الحضارتين المختلفتين فكريا وحضاريا. وكما ظهر سابقا فان اوج الحرب بين الطرفين حدثت في عهد الإمبراطور البيزنطي هرقل، والملك الفارسي كسرى الثاني أبرويز.

وبعد تلك المعارك بين الدولتين، جاء الإسكندر الأكبر[5]، الذي وضع قهرُ إمبراطورية الفرس، وملكها دارا الثالث (331 ق.م) أحد اهم أهدافه؛ حيث سيطر على قواعده في الجزء الأوروبي، وبسط نفوذه على عواصمه الشرقية الثلاث: بابل، وشوشان، وبرسبولس[6].

سادساً: الغساسنة والإمبراطورية البيزنطينية

(1) باقر، طه، وآخرين، "**تاريخ إيران القديم**"، **ص: 44**.

(2) باقر، طه، وآخرين، "**تاريخ إيران القديم**"، **ص: 44**.

(3) آرثر، **إيران، في عهد الساسانيين**، ص ٣٥٠

(4) Haldon,J.F**, Byzantium in the Seventh Century**, Pp: 200.

(5) الاسكندر المقدوني احد اشهر الملوك اليونان حكم مقدونيا، وتلميذ الفيلسوف اليوناني المشهور أرسطوا، ويعد من اشهر القادة العسكرين، حيث لم يهزم في معركة خاضها قط، في عهده وصلت الدولة اليونانية اوج توسعها حتى وصل شبه الجزيرة الهندية، https://www.arageek.com/bio/alexander-the-great

(6) المرجع السابق.

استطاعت الدولة البيزنطينية كسب جميع القبائل العربية التي دخلت في الديانة المسيحية، وكانت المملكة الغسانية احدى اهم تلك القبائل. حيث جعلت الإمبراطورية العلاقات الدينة السبيل الوصول إلى ولاء تلك القبائل وضمها تحت جناحها.

كما ذكر سابقا إن الإمبراطورية الرومانية انتقلت من الديانة الوثنية الى الديانة المسيحية في عهد الإمبراطور قسطنطين (306–33م) وثبت قواعد المذهب الأرثوذكسي، كما انه نقل العاصمة من نيقوميديا إلى بيزنطة في عام 329 ميلادي وسميت فيما بعد "الإمبراطورية البيزنطينية الشرقية".

كان الغساسنة ممن يتبعون مذهب بالطبيعة هي الإلهية الوحيدة (المونوفيزية) كما هو الحال في سائر القبائل البدوية، التي تعصبت بشكل كبير لهذا المذهب، مما جعل الدولة البيزنطينية تقوك بتحالفات معهم تضمن حرية العقيدة، وذلك لعدم قدرتهم على تغير مذهبهم الديني؛ وعلى ان يساندوهم في الحروب.

وبرغم إن المذهب الدين المتبع في المملكة الغسانية معارض للمذهب الديني في الإمبراطورية البيزنطينية، في حين قامت الإمبراطورة ثيودورا بتعين المطران يعقوب البرادعي ورفيقه ثيودورس أسقفين لمسيحي المشرق عام (542–543م)، بناء على طلب الملك الغساني الحارث في تعيين[1]. حيث ظهر هذا الحدث في نقش سرياني تم العثور علية في منطقة النبك[2].

منحت الإمبراطورية البيزنطينية عدد من ألقابا كنسية دينية لعدد من أمراء الغساسنة، حيث منح الحارث الغساني لقب ملك من الإمبراطور جستنيان؛ وذلك اعترافنا منه بوجود ملك على الأراضي الغسانية، فأصبح بذلك يطلق عليها المملكة الغسانية بدلا من الإمارة الغسانية؛ ثم حصل عدد من ملوك الغساسنة وأمراءها على لقب "بطريق" و" فيلارخ" من الإمبراطورية البيزنطة وتعني تلك الألقاب عامل او شيخ القبيلة وهي القاب دينة وتعتبر فخر لصاحبها[3]. وبذلك زادت العلاقات السياسية والدينة بين المملكة الغسانية والإمبراطورية البيزنطة قوة.

---

(1) يوسف، جوزيف، تاريخ الدولة البيزنطية، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٤ م ص ٢٥.

(2) خربوطلي ومحمد: 2017).

(3) الجميلي، 2016، مرجع سابق.

يعتبر الطموح البيزنطي في التوسع وفرض السيطرة أحد اهم الأسباب التي جعلتهم لتعاون مع المملكة الغسانية، ومن ناحية أخرى خوفه من استمالة الفرس له كما فعلوا مع قبيلة المناذرة في جنوب بلاد الرافدين بذلك تحمي حدودها وأراضيها في جنوب بلاد الشام. حيث إن هنالك اجمع بين القبائل العربية على ملك آل غسان في المنطقة؛ لذلك استغل البيزنطيون هذه الحقيقة وأسسوا علاقات قوية مع الغساسنة ليكونوا حلقة الوصل بينهم وبين القبائل العربية؛ مما ساهم في ازدهار التجارة البيزنطينية.

لم ترتبط القبائل العربية مع الدولة البيزنيطة بعلاقات طيبة؛ بل كانت العرب تشن الغزوات وتقيم الحروب وتدمر القرى البيزنطينية على طول حدود البادية الشرقية لدولة البيزنطينية؛ أي المناطق التي تلتقي بحدود تلك القبائل، وان الاختلاف الديني من اهم أسباب هذا العداء؛ حيث حاولت القبائل العربية بذلك الدفاع عن عقيدتهم ومذهبهم الديني الخاص بهم. ومن اهم القبائل العربية التي دخلت بمعارك متعددة مع البيزنطيين هي القبائل التي حكمتها الملكة ماوية؛ فقادت هذه الملكة عدد من الانتصارات على الإمبراطورية البيزنطينية، كما شنت العديد من الغارات العسكرية الشرسة والمدمرة على القرى الرومانية وألحقت بها أضرار جسيمة؛ مما هدد نفوذ البيزنطي في المنطقة ودفعهم الى عرض الهدنة على القبائل العربية بقيادة الملكة ماوية؛ والتي وضعت عدد من الشروط للهدنة وكان أهمها ان يتولى القس موسى امر المسيحين في المنطقة؛ ولفرض السلام في المنطقة قبلت الدولة البيزنطينية بالشروط رغم اختلاف المذهب الديني للقس مع المذهب الديني للإمبراطورية[1].

وعلى الرغم من الهدنة التي فرضت في المنطقة، خيم التوتر والقلق من استئناف الغزوات المدمر من البدو ظلاله على البيزنطيين؛ ولذلك استغلوا علاقتهم الطيبة مع الغساسنة، وقدموا لهم الدعم الكامل لحماية أراضيهم من غارات البدو في البادية الشرقية.

فاستطاع الأمراء الغساسنة باستخدام قدراتهم العالية وحنكتهم وذكائهم العسكري من استغلال الوضع السياسي والاقتصادي الرديء والمتوتر في المنطقة، وتثبيت وجودهم وسلطتهم على المنطقة. ففي بداية القرن السادس الميلادي وبعد مقتل الفلارخ الحارث الكندي، استغل الغساسنة الوضع الغير مستقر في المنطقة إثر وفاة عامل الروم فيها؛ فقامت بشن هجوم عسكري في عام

[1] علي، 2001، مرجع سابق.

500م كما يؤرخه المؤرخ الروماني ثيوفانس؛ يلكون هذا الهجوم بداية الاحتكاك بين آل غسان والبيزنطيين الذين بادروا بالهدنة والسلام فضلا عن اتخاذ عدو جديد في المنطقة.

وللوصول إلى السلام في المنطقة سعى البيزنطيين لتوحيد القبائل العربية تحت ما يشبه الحكومة المركزية، مع احتفاظ كل قبيلة بحريتها واستقلالها الذاتي وكان ذلك تحت مسمى حلف الديكابوليس[1]؛ وفي ذلك الوقت قام الإمبراطور جوستنيان بإطلاق لقب ملك على الحارث الغساني، وعين عدد من الأمراء ولولاه أخرين يقلون عن الملك بالمكانة[2]. وذلك رفعة من شئن حلفاهم الغساني الذي كان خط دفاعهم الأول من غارات القبائل العربية الدوية، وأيضا من الهجوم الفارسي في المنطقة الممتدة من وادي الحسا جنوبا، وصولا إلى تدمر شمالا[3].

---

(1) الجميلي: 2016، مرجع سابق.

(2) خربوطلي ومحمد، "العلاقات السياسية البيزنطية الغسانية في القرن السادس الميلادي"، جامعة تشرين، سوريا (ورقة بحثية)، 2017، ص 17.

(3) خربوطلي ومحمد، "العلاقات السياسية البيزنطية الغسانية في القرن السادس الميلادي"، مرجع سابق، ص 19.

الفصل الثاني
تاريخ نشوء وتكوين دولة الغساسنة

أولاً: أصل الغساسنة وتسميتهم

ثانياً: تاريخ نشأت واستقرار الغساسنة

ثالثاً: أهم المعارك الغسانية

1. **يوم عين أباغ**
2. **يوم حليمة**
3. **معركة مؤتة**
4. **معركة اليرموك**

رابعاً: ملوك الغساسنة

الفصل الثاني
تاريخ نشوء وتكوين دولة الغساسنة

اهم القبائل العربية التي وضع لنفسها سطورا واضحة واثارا ثابت في تاريخ جنوبي بلاد الشام؛ هي تلك القبائل الى تحالف مع كل من الامبراطورية الرومانية او الامبراطورية الفارسية؛ ومنها قبيلة الضجاعمة الحليف الاول للروم (البيزنطيين) قبل صراعها مع مملكة الغساسنة وانهيارها؛ وذلك شكل نقطة تحول في تاريخ المنطقة. حيث وجد الروم (البيزنطيين) في قبيلة الغساسنة قوة وصبر وتحمل بالمعارك؛ وذلك ظهر خلال معاركهم مع الضجاعمة مما دفعهم الى نصرة الغساسنة واتخاذهم حليفا في المنطقة بدل عن الضجاعمة.

يخلف المؤرخون على نسب الغساسنة وتسميتم؛ كما اختلفوا على عدد ملوكهم؛ وتأريخ نشأتهم. لكنهم لم ينسوا اهم وأكبر شعرائهم ومنهم امرئ القيس، وجذم بن سنان الغساني، وعبد المسيح بن عمرو، وعدي بن الرعلاء الغساني. فالغساسنة سلالة عربية من أصول يمنية (جنوب شبه الجزية العربية)، ثم هجروا بلادهم بعد انهيار سد مأرب في القرن الثالث ميلادي متجهة إلى شمالي الجزيرة العربية، وجنوبي بلاد الشام؛ باحثين عن الكلى والماء. وبرغم من الدولة العظيم التي بناها الغساسنة الا ان انهم حافظوا على عادة البدو في التنقل؛ فليس لهم عاصمة سياسية واضحة وثابته، فعاصمتهم تنتقل بتنقلهم من مدينة الى أخرى.

حكم الغساسنة جنوب بلاد الشام والاجزاء من جنوب بلاد الرافدين؛ خلال الفترة البيزنطينية. فقد كان ولاء الغسانيين للإمبراطورية البيزنطينية؛ فقد كانوا حماة الامبراطورية من هجمات البدوا، وجيوش الامبراطورية البيزنطينية. وذلك ما جعل للغساسنة خبرة عسكرية وادارية مميزة؛ واستفادة الغساسنة من هذه الخبرة في معاركهم في الفتوحات الإسلامية وذلك بعد دخولهم للإسلام. وفي هذا الفصل سيقوم الباحث بتوضيح الاختلاف حول نسب الغساسنة، ونشأتهم وامتداد حكمهم.

أولاً: أصل تسمية الغساسنة

العديد من قبائل عربية اضطرت إلى الهجرة من جنوب الجزيرة العربية (اليمن حاليا)؛ والاتجاه إلى شمالي الجزيرة العربية، وبلاد الشام، وبلاد الرافدين انظر الشكل (6). وذلك لأسباب عدة ويعتقد المؤرخين إن من اهم أسباب هذه الهجرات فيعود إلى الجفاف الذي أصاب جنوب الجزيرة العربية، وانهيار سد مأرب، وزيادة الصراع بين القبائل المتجاورة لسيطرة على مصادر المياه والمراعي.



الشكل 5: خط سير القبائل العربية التي هجرت جنوب الجزيرة العربية[1]

[1] https://www.youtube.com/watch?v=E3TbHaglQEM

ينسب المؤرخين آل غسان إلى نبع ماء اقاموا بجانبه أثناء ترحالهم قبل وصولهم الى بلاد الشام يعرف باسم غسان؛ فيقول المسعودي في كتابه "انما غسان ماء شربوا منه، فسموا بذلك، وهو بين زبيد ورمع، وادي الأشعريين بأرض اليمن"[1]. وقال الحسان بن ثابت في أحد اشعاره:

إمـــا ســـألت فإنـــا معشـــر نجـــب　　　الأزد نســـبتنا والمـــاء غســـان[2]

كما عرفوا ايضاً ب (آل جفنة)، ووجاءت تسمية جفنة من كلمة جفنة بالعربية والتي تعني الطبق الكبير، او من "الجفنة" المعروفة، أو من "الجفن"، وهو "الكرم"، وجفن السيف وجفن الإنسان ويعتقد المؤرخون ان سبب هذه التسمية يعود نسبة لشدة كرمهم وجودهم. ويعزا سبب تسميتهم بآل جفنة إلى أجدادهم جفنة ابن عمر مزيقياء بن عامر[3].

يرجع الاخباريون سبب تسمية المزيقياء بهذا الاسم لعدة أسباب، حيث يقول الاصفهاني: أن عمرا سمي بذلك لأنه كان يمزق كل يوم حليتين لئلا يلبسها غيره أحد؛ وقيل أيضا سمي مزيقياء لان الأزد تمزقت على عهده وانتشرت في البلاد بعد هجرتهم من جنوب الجزيرة العربية إثر حادثة السيل العرم. في حين جاء الفرض الأول يدل على ثراء عمر لكن هذه الأفعال ليست من شيم العرب. بينما الفرض الثاني فهو أقرب إلى الواقع الذي عاشه الازد في ذلك الوقت[4].

وجاء ذكر آل جفنة بشعر حسان بن ثابت، ففي رثاء الملك الغساني ابن مارية (الحارث بن جبلة) قال:

"أولاد جفنـــة حـــول قبـــر أبـــيهم　　　قبـــر ابـــنماريـــة الكـــريم المفضـــلِ"[5]

ويعتبر الحارث الأول بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة احد أشهر امراء الغساسنة والذين ينسب الى آل جفنة؛ ذكره النابغة الحارث الجفني في احدى ابيات شعره قائلا[1]:

---

(1) المسعودي، "**مروج الذهب**"، ج2، ص113. انظر: الأصفهاني، "**تاريخ سني ملوك الأرض والانبياء**"، مصدر سابق، ص89.

(2) حسان بن ثابت، **الديوان**، شرح وضبط: عمر فاروق الطابع، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت، ص 223.

(3) نولدكه، "**أمراء غسان**"، مرجع سابق، ص 35.

(4) البرقوقي، 1929.

(5) حسان بن ثابت، "**الديوان**"، مرجع سابق، ص 164.

"وللحـــارث الجفنـــي ســـيد قومـــه   ليلتمســـن بـــالجيش دار المحـــارب"

كما أطلق عليه تسمية آل ثعلبة نسبة الى جدهم ثعلب بن مازن؛ يعتقد المؤرخون أن ثعلبة وجفنة أخوان وأن أبنائهما، أولاد عمومة ولهذا لقبوا باللقبين في نفس الفترة.[2] وذكر ابن حبيب في كتابه المفصل في تاريخ العرب ان ثعلبة بن عمرو بن المجالد بن عمرو بن عدي بن مازن بن الأزد، هو الملك الذي قضى على الضجاعمة، ونزع ملك سليح؛ وان ملوك الغساسنة من نسله[3].

قبيلة الأزيد اليمنيون، من القبائل التي رحلت من اليمن (جنوبي الجزيرة العربية) ونزلوا ببطن مر[4] قرب مكة، ثم تَمَزَّقَ شملُهم بعد مائة سنة، اما الغساسنة في استمروا في هجرتهم بعد ذلك إلى أراضي بلاد الشام، ووصلوا إلى الأراضي الجنوبية منها، وهي الّتي تُعرف اليوم بأرض الأردن، فوجدوا هناك قوماً كانوا قد ولُّوا من الروم وهم الضجاعمة الذين يرجعون إلى آل سليح القضاعيين، وقد كانت أراضيهم واسعة وممتدة على مساحات كبيرة من أراضي بلاد الشام، فقد كانوا يسيطرون على تلك المناطق التي كانت واقعة بين كلٍّ من جبل الشيخ، والجبال الفلسطينية، والغور الفاصل بين الأردن وفلسطين، والبلقاء، والعقبة، والجبال الكركية من أرض الأردن.

فرض الضجاعمة الأتاوات على الغساسنة، مما أثار الحنق، والخلافات العنيفة بينهم، والّتي انتهت بحروب كُتب النصر فيها للغساسنة، مما جعلهم يستولون على الأراضي الّتي كان أعداؤهم يسيطرون عليها[5].

---

(1) النابغة الذبياني، الديوان، صنعة ابن السكيت، تحقيق: شكري فيصل، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، 1990م، ص 56.

(2) نولدكه، "**أمراء غسان**"، ذكر سابقا، ص: 45.

(3) ابن حبيب، المحبر، مصدر سابق، ص 371

(4) هو المعروف بمر الظهران وهي منطقة من مكة.

(5) ابن حبيب، المحبر، مصدر سابق، ص320



الشكل 6: القبائل العربية التي سكنت شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام[1]

ثانياً: تاريخ نشأت واستقرار مملكة غساسنة

لم تكن الطريق أمام الغساسنة ممهدة في بلاد الشام، فقد استقروا في البدء الامر في سهول حوران والتي كانت مأهولة من قبل قبيلة تسمى الضجاعمة من قبائل بني سليح – قضاعة[2]. وقد فرض الضجاعمة على الغساسنة أتاوة ولكن الحاكم الغساني وقتها ثعلبة بن عمرو الغساني رفض وغلب القائد سبيط الضجعمي وقامت الحرب بين القبيلتين وانتهت بانتصار الغساسنة. وقد سميت

---

(1) https://almaktba.org

(2) سالم، تاريخ العرب قبل الإسلام، (ط1) مصر: الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة.، 2006م، ص 80.

هذه الحرب في بعض المصادر "يوم حليمة"[1] نسبة لابنة القائد الغساني التي كان لها دور في النصر[2] انتقلوا بعدها من حوران إلى البلقاء واستقروا بها وقتا طويلا.

نستنتج هنا أن لتأسيس المملكة الغسانية محورين هامين أولا إجماع القبائل العربية على كفاءتهم وحسن استخدامهم للسلطة والمحور الثاني لعب دور الوسيط بين مدن الحلف والمدن الأخرى والرومان وقد دعى هذا الإجماع إضافة لحسن إدارة الإمارة إلى انتقالها لمرحلة جديدة، فقد لقب الإمبراطور جستنيان الأمير الغساني الحارث بن جبلة[3] بالملك أو "ملك جميع العرب" عام 530م، ويتم إيراد هذا الحدث في الوثائق الرومانية كحدث مهم في تاريخ المشرق العربي.

لكن اختلفت الروايات حول تاريخ تأسيس ودخول الغساسنة للشام، ففي رواية أنهم قد ارتحلوا إلى سورية في القرن الثاني أو الثالث الميلادي وسكنوا على مشارف الشام، وكان قائدهم في ذلك الوقت جفنة وهو أول ملك عليهم [4]. أما الرواية الأخرى فترجح إن دخولهم الى بلاد الشام كان في نهاية القرن الخامس الميلادي حوالي (٤٩ م)[5] وقد جاء دخولهم إلى بلاد الشام في الفترة التي كانت المنطقة الواقعة بين حوران ونهر الفرات تخلو من الجيوش البيزنطينية إضافة إلى تخلي الإمبراطورية البيزنطينية عن الحزام الحصين الممتد بين تدمر ودمشق، وتراجعت حدود الإمبراطورية إلى منطقة الرقة وسورة والرصافة كما تخلى البيزنطيون عن خط الخابور الدفاعي، وقد مهدت هذه الظروف للغساسنة أن يبسطوا سلطتهم على قبيلة سليح عمال البيزنطيين على بلاد الشام[6] حيث إن تسلمهم السلطة على عرب الشام كان في الفترة من ٥٠٢م -٥٠٣م[7].

---

(1) لمزيد من المعلومات انظر صفحة 60 من هذا الفصل

(2) علي. ج.، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ط4)، لبنان: بيروت، دار الساقي، 2001.

(3) انظر الفصل الثالث

(4) نولدكة، **أمراء غسان**، مرجع سابق، ص ٤

(5) عباس، **تاريخ بلاد الشام**، ص ١٢٦؛ سحاب، فكتور، إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، ط ١، كومبيو نشر والمركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٢ م، ص 96-97

(6) سحاب، **إيلاف قريش**، ص ١٠٢

(7) Shahid, I. **Byzantium and the Arabs in the Sixth Century**. 2 Vols. Washington, D.C., Dumbarton Oaks, 2002,Vol.1. p. 120.



الشكل 7: شعار مملكة الغساسنة[1]

نزل الغساسنة في أطراف بلاد الشام[2]، في عام ٤٩١ تقريبا[3]، بالرقب من قبيلة سليح وهي فرع من قضاعه، فأقاموا فيها بعد أن استأذن لهم ملك قبيلة سليح من القيصر البيزنطي الذي كان يقيم في أنطاكية[4]، فأذن لهم بالسكن في الشام، وأقاموا الى جوار من قبيلة سليح، وكانت سليح يجبون ممن يكن ارضهم من ال جفنة وغيرهم الى الروم[5]، وبسب هذه الأتاوة شب النزاع الذي قاد بدوره إلى القتال وانتهى بهزيمة وطرد قبلية سليح من الشام، إلا أن البلاذري يذكر أن سليح قد بقيت في بلاد الشام، إذ ذكروا انهم كانوا من جملة من أقام على النصرانية من عرب الشام، وقد أسلم قسم منهم فيما بعد[6].

الا أن الغساسنة بعد أن تغلبوا على آل سليح، أصبحوا مسيطرين على الأمور في بلاد الشام، وفي هذا يقول ابن حبيب: إن غسان عندما غلبت سليح خافت من أن تميل غسان إلى جانب الفرس، فأرسل إليهم بأنه يريد أن يجعلهم عمالًا لهم على بلاد الشام، وسيُكتب وبينهم كتاب ينص على أن يقوم

(1) https://www.facebook.com/pg

(2) البطاينة، محمد ضيف الله، العلاقة بين نصارى العرب وحركة الفتح الإسلامي في الجزيرة العربية والشام والعراق، **المؤرخ العربي**، ١٩٩٨ م، العدد ٢، ص٤٠.

(3) Shahid, I. **Byzantium and the Arabs in the Fourth Century**. Washington, D.C., Dumbarton Oaks, 1984, p. 384

(4) ابن منبه، **التيجان في ملوك حمير**، ص٢٩٦، عباس، **تاريخ بلاد الشام**، ص ١٢٦.

(5) سحاب، **إيلاف قريش**، ص ١٠٣.

(6) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ١٥٢، بيغوليفسكيا، **العرب على حدود بيزنطة**، ص ٢١٨.

الروم بمدهم بأربعين ألف مقاتل إذا تعرضوا لهجوم العرب، ويقوم الغساسنة بمد الروم بعشرين ألف مقاتل إذا دهمهم العرب، وألا يدخل الغساسنة بينهم وبين الفرس[1].

أثبت المؤرخين أن الغساسنة، وبذلك سيطر آل غسان على من سكن بلاد الشام من العرب؛ وبسبب ذلك نصبهم الروم ملوكا على بلاد الشام. وكان الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرؤ القيس أول ملوك غسان في الشام[2]، وسكنوا في مرتفعات الشراة، ومعان، وغرندل، والحسا، بالإضافة الى حسمى، وحوران، ومرج الصفر[3]، وغوطة دمشق وأعمالها، والأردن[4]، والبلقاء وحمص[5] وحوران والقسطل وأبير وقصر حار[6] والمناطق المجاورة لحمص[7] وبالعة في البلقاء[8]، ودمشق (جلق)، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت: حكم الغساسنة، خلال فترة حكم الروماني لمنطقة بلاد الشام؛ فنمت مملكتهم، وتطورت على امتداد الحدود الشرقية لبلاد الشام، وكانوا يشيدوا عدد من القرى والمدن وعدد من القصور والقلاع. وكانت مثالا واضحا على تطورهم وإبداعهم. ومن أشهر المباني التي شيدها آل جفنة: القصر الأبيض والقلعة الزرقاء، بالإضافة الى عدد من المسارح والمدرجات والحمامات وقناطر المياه وأقواس النصر، والكنائس التي لا زالت اثارها واضحة للعيان حتى وقتنا الحاضر[9].

ولم يكن هناك عاصمة سياسية واحدة للغساسنة. كما كانت الحيرة عاصمة المناذرة. بل كانت عاصمتهم معسكرًا متحركًا، ينتقل من مدينة الى أخرى لحبهم لحياة الداوة بسبب ترحالهم المتكر . فاتخذ لهم بصرى الشام عاصمة اولى، ثم انتقلت العاصمة الى الجابية، ويذكر بعض

---

(1) Theophanes, **Chronographia**, trans. By, Cyril Mango and Roger Scott, Clarendon Press, Oxford, 1997, p.14

(2) المسعودي، **مروج**، ج ١، ص ٣٢٣، ابن سعيد الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥ هـ/١٢٨٦م)، **نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب**، تحقيق نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٢ م، ص5، 66.

(3) خريسات، دور غسان في الحياة العامة في صدر الإسلام، **المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام**، مج ١، عمان، الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك ٢٩ تشرين الأول، ١٩٨٧ م، ص ١٩٤.

(4) المسعودي، **مروج الذهب**، ج ٢، ص 85- 86.

(5) المغيري، **المصدر السابق**، ص ٦٦.

(6) الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض**، ص 99-101.

(7) كحالة، **معجم قبائل العرب**،ج ٣ ص ٨٤٤.

(8) ابن منبه، **التيجان في ملوك حمير**، ص ٢٩٧.

(9) انظر الفصل الرابع.

المؤرخين أن الغساسنة اتخذوا من جلق عاصمة لهم حيث انهم اقاموا فيها فترة غير قصيرة من الزمن، وهي تقع شمالي نهر اليرموك والى الجنوب الغربي من دمشق؛ وفي حين أشار أخرون انهم اتخذوا من البلقاء عاصمة لهم في حين من الزمان. فقد اعتادوا على الترحال من مكان للأخر على غرار عادت البدو العرب.

ويقول جونز أن الغساسنة كانوا بدوا يربون الماشية واهتموا برعاية الإبل بشكل خاص، وذلك لحاجتهم إليها في الحرب[1] . لم يكن الغساسنة أهل استقرار، فلم يقموا في المدن لفترات طويلة، بل تمسكوا بحياة البداوة وحترفوا الرعي[2]، ويبدو أن تعميم صورة البداوة على الغساسنة جميعهم وتصورها ملازمة لهم في كل المراحل يتنافى وطبيعة التطور، ولا يتلاءم وما يتطلبه الاستقرار، كما يلحظ إقبال الغساسنة على إقامة المنشآت التي تدل على الاستقرار[3]، وفي ما ذكره الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ/٩٦٧ م) من منشآت غسانية ما يؤكد ذلك[4]، ومما تقدم يمكن القول أن الغساسنة كانت تحكمهم تقلبات الفصول صيفًا وشتاء؛ فهم في المقام الأول يعيشون على تربية الأغنام والإبل التي كانوا يستخدمونها في الحرب، ولذلك فإن الاستقرار لم يكن مناسبا على نحو كبير للغساسنة. استطاع الغساسنة فرض سيطرتهم على القبائل العربية في جنوبي بلاد الشام، وشمال الجزيرة العربية وولايتها.

لم يصلنا دليل على سيطرة الغساسنة على المدن الكبيرة في الشام مثل تدمر ودمشق؛ حيث كانت هذه المدن مدنا محصنة، تتمركز فيها حاميات رومانية؛ في حين اعتمد الغساسنة في حروبه على الصحراء. فعند سقوط الإمبراطور الروماني في فترة حكم العثمان بن المنذر لجأ الغساسنة للبادية ليقودوا ثورتهم ضد الإمبراطور الروماني.

---

(1) جونز، ١٩٨٧، **مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية**، ترجمة إحسان عباس، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ص ١١٦.

(2) عباس، **تاريخ بلاد الشام**، مرجع سابق، ص ١٤٠.

(3) عباس، **تاريخ بلاد الشام**، ص ١٤٠ . لمعرفة المزيد عن إقامة الغساسنة للمنشآت التي تدل على الاستقرار، انظر: ص.١٤١؛ عباس، **المرجع نفسه**، ص ١٤٠.

(4) لقد شكك نولدكة في ما ذكره حمزة الأصفهاني في ما يخص بناء بعض المنشآت الغسانية، ويرى أنه لا بد من التحقق من تاريخ بنائها قبل نسبتها إلى ملوك الغساسنة .ولمعرفة المزيد عن هذا الموضوع، انظر :نولدكة، **أمراء غسان**، ص ٥٥ -٥٤.

يجتمع المؤرخين على كون الحارث الأكبر (الحارث بن جبلة (528–569))، هو اول أمراء آل جفنة، وفي عصر نشبت حرب ضد المناذرة بقيادة المنذر الثالث؛ وذلك بسب صراع حلفائهم الدائم. وتصارعت القبيلتان عام 528م في حرب انتصر فيها الغساسنة بقيادة للحارث الغساني.

ثم في عام 544م عاد الصراع بين الحارث والمنذر، وينتهي الأمر في هذه المعركة بهزيمة الأمير الغساني، وأسر أحد أولاد الحارث، وعاود الرجلين القتال سنة 554م في منطقة بالقرب من قنشرين، وتكللت المعركة بنصر الحارث، وقتل المنذر نفسه، ومقتل ابن الحارث الغساني عرفت هذه المعركة باسم يوم حليمة[1].

تأكد المصادر التاريخية المصادر أن جبلة بن الأيهم يعتبر آخر ملوك الغساسنة، وهو من قد حارب المسلمين عام 636م إلى جانب الروم؛ على أن بعض الرِّوايات تَذْكر أنَّه أظهر الإسلام، ثم ارتدَّ إثْرَ واقعةٍ له مع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه – ثم فرَّ إلى بلاد الروم، وارتدَّ عن الإسلام، وبقي هناك حتَّى وافَتْه منيَّتُه.

يعد فقر المصادر هو أحد أسباب قلت المعلومات الواردة عن الغساسنة ومن أحد أهم الصعوبات التي واجهت الباحث في تحديد تاريخ الغساسنة. وانطلاقا من مصادر تاريخية الصادرة عن الكنسية القديمة، فان الأراضي الغسانية امتدت من البلقاء وحتى نجران في الجنوب، ومن سيناء غربا وحتى بادية الفرات شرقا؛ حيث اشتملت أراضيها على جميع مدن حلف الديكابوليس، بالإضافة إلى العديد من المدن المزدهرة في المنطقة كمدينة الربة في الكرك

حيث بلغت مملكة الغساسنة أوج اتساعها في عهد الملك الغساني الحارث بن جبلة، والذي جاء ذكره في المصادر اليونانية باسم "جبلس". وكان شعراء الجاهلية وصدر الإسلام يفتخرون بالغساسنة للغاية، وبسبب ذلك، فيقول حسان بن ثابت[2]:

"لمـــن الـــدار أوحشـــت بمعـــانِ	بـــين أعلـــى اليرمـــوك فالجمّـــان
فقفـــا جاســـم فأوديـــة الصـــفر	مغنــــــى قبائـــــل وهجـــــان
تلـــك دار العزيـــز بعـــد أنـــيس	وحـــــول عظيمــــة الأركـــــان"

(1) انظر عنوان الأحداث التاريخية في هذا الفصل لمزيد من المعلومات عن يوم حليمة.

(2) بن ثابت، حسان، "الديوان"، مرجع سابق.

ويقول أيضا:

"أســألت دســم الــدار أم لــم تســأل بـــين الجـــوابي فالبضـــيع فحومـــل

فـــالمرج مـــرج الصـــفرين وجاســـم فـــديار ســـلمى در لـــم تحلـــل

دمـــــن تعاقبهـــــا الريـــــاح دوراس والمــدجنات مــن الســماك الأعــزل

لله در عصـــــابة نـــــادمتهم يومـــــا يحلـــــق فـــــي الزمـــــان الأول"

كمان الشاعر النابغة الذبياني، أحد اهم شعراء الجاهلية، مدح المملكة الغسانية وأثنى عليها في عديد م قصائده، وفيما يلي احدى أبياته التي يحدد فيها حدود المملكة الغسانية:

"بكــى حــارث الجــولان مــن فقــد ربــه وحـــوران منـــه مـــوحش متضـــائل

قعــودا لـــه غســـان يوحـــون آوبـــه وتـــرك وهـــط الأعجمـــين وكابـــل"[1]

ومن هذه الأبيات نستطيع تحديد العديد من المدن التي سيطر عليها الغساسنة، ومنها: الجولان، وحوران. لذلك يعتبر الشعر الجاهلي احدى اهم العناصر التي توضح تاريخ المملكة الغسانية. ومنها نستطيع تحديد مدى اتساع المملكة، واهم ملوكها، واهم المعارك التي خاضتها.

ورغم التحالف السياسي للمملكة الغسانية مع الدولة البيزنطينية، الا انهم حافظوا على استقلالهم بشكل نسبي؛ وذلك بفضل معرفته للصحراء وقدراتهم العسكرية المميزة. فقد اعتبروا من الحلفاء المميزين للإمبراطورية البيزنطينية فشكلوا جزء من حملاتها العسكرة لمساندة جيشها العظيم في صراعه منع الإمبراطورية الساسانية؛ وحماية القوافل التجارية المارة في جنوب بلاد الشام وشمالي الجزيرة العربية[2].

وقد بلغ أوج تطور آل غسان في أوائل القرن السادس الميلادي وذلك بعد ضمهن جميع شيوخ العشائر العربية في بلاد الشام والحجاز تحت لواءهم. مما دفع الامبراطور يوستنيانوس الى

---

[1] البلاذري، مرجع سابق، ص118.

[2] العلي، صالح، ١٩٨٧، القبائل العربية في بلاد الشام في زمن الخلفاء الراشدين، **دراسات**، ج ١٤، ص ٤٣.

رفع امير آل غسان الحارث بن جبلة إلى رتبة فيلارخوس، يصبح بذلك بموازات امراء الحيرة (المناذرة) حلفاء الدولة الساسانية[1].

أما لغتهم فقد استخدم الغساسنة مزيج من اللغة العربية، ولغة الشام الآرامية؛ ولذلك كان لهم شأن عظم بين القبائل العربية التي سكنت أرض الهلال الخصيب كالمناذرة وكندة.

ثالثاً: أهم المعارك الغسانية:

ومع ازدهار وامتداد المملكة الغساسنة في فترة حكم الحارث بن جبلة؛ الذي خاض العديد من المعارك ضد ملوك الحيرة، واهمهم المنذر بن ماء السماء، والذي انتصروا عليه في معركة يوم حلية 528م. وستمر ملوك غسان بانتصاراتهم ودعمه للإمبراطورية الرومانية، حيث أطلق الأباطرة الرومانيين العديد من الألقاب العليا في الدولة على ملوك آل جفة، لما قدمه من دعم وحماية لهم. فقد انهار نفوذ المملكة الغسانية على يد الإمبراطورية الفارسية وحلفائهم من ملوك الحيرة بعد الهجوم الذي قام به الملك الفارسي أبرويز على سوريا في عام 613م، واحتلاله كل من القدس، ودمشق. ومع بدأ الفتوحات الإسلامية، ساند ملوك الغساسنة البيزنطيين في حروبه ضد المسلمين؛ حيث شاركوا في معركة مرج الصفر عام 624م، والتي انتهت بانتصار المسلمين بقيادة خالد بن الوليد.

بالإضافة إلى اهم المعارك الإسلامية في جنوب بلاد الشام معركة اليرموك 636م[2] والتي سيتم الحديث عن تفاصيلها لاحقا في هذا الفصل. وتعد علاقة التي ربطت المملكة الغسانية مع بني تغلب احد اهم الأحداث وعلاقات التي سجلها تاريخ آل غسان. ففي بادئ الامر ساعد الغساسنة بني تغلب بعد هروبهم من مطاردة المناذرة لهم (ملوك الحيرة)؛ الا ما فتات علاقة مع بني تغلب بالتغير الى العدا، حيث قام الغساسنة في عهد الحارث بن أبي شمر بقتال بني تغلب وانتهت معركته بالهزيمة. وجاء في شعر عمرو بن كلثوم، الشاعر الجاهلي وصف لتلك الغزوة حيث قال في ذلك:

"هــلا عطفــت علــى أخيــك إذا دعــا بالثكـل ويـل أبيـك يـا بـن أبـي شـمر

---

[1] Christensen, A., l'Iran sous les Sassanides, P.p. 355-357.

[2] العلي، صالح، ١٩٨٧، القبائل العربية في بلاد الشام في زمن الخلفاء الراشدين، **دراسات**، ج ١٤،

فـذق الـذي جشـمت نفسـك واعتـرف فيهـا أخـاك وعـامر بـن أبـي حجـر"

وقال:

"ألا فـاعلم أبيـت اللعـن أنـا أبيـت اللعـن نـأبى مـا تريـد

تعلـم أن محملنـا ثقيـل وأن دبـار كبتنـا شـديد

وإنـا لـيس حـي مـن معـد يقاومنـا إذا لـبس الحديـد"

فقد رفض أبناء بني تغلب للخضوع لسلطة الغساسنة او حتى المناذرة (ملوك الحيرة) على حد سواء، وابقوا على استقلالهم في المناطق الحدودية ما بين المملكتين المتحاربتين[1].

فيما يلي وصف لاهم المعارك التي خاضها آل جفنة:

1- يوم عين أباغ (317-327):

معركة يوم عين أباغ ودارت المعركة بين المملكة الغسانية بقيادة الحارث بن الأعرج أبي شمر بن جبلة، ومملكة المناذرة بقيادة المنذر بن ماء السماء[2]. بدأت المعركة بقدوم المنذر بن ماء السماء مع جيشه ونزل في عين أباغ، وأرسل إلى الملك الغساني يطالبه بالفدية أو بدأ الحرب.

فأرسل إليه الحارث بن الأعرج يطلب مهلة ليبحث بالأمر، فقام بجمع جنده وسار نحو عين أباغ؛ وعند التقاء الجيشان، ارسل الحارث للمنذر قائلا: نحن شيخان فلا تهلك جندي وجنودك فارسل رجل من عندي، وليخرج رجل من جيشك، فإن قتل أرسلنا آخر؛ حتى إذا فني أولادنا خرجت أنا إليك فمن قتل احدى الأخر؛ حصل المنتصر على الملك. فما من المنذر الا ان يرسل احد جنوده الأقوياء في مكانه ابنه لقاتل أبا الكرب ابن الحارث الغساني؛ فلما راه أبا الكرب اخبره والده ان ذلك الجندي ليس بابن المنذر، فقال له الحارث: أجزعت من الموت ما كان لشيخ ان يغدر. فتقاتلا وانتهى صراعهما بمقتل أبا الكرب واخذ الفارس راسه ووضعها بين قدمي المنذر؛ فارسل الحارث ابنه الثاني طلبا بثأر أخيه، فما لبث ابنه حتى رجع لخبر أبيه انه الفارس ما هو إلا جندي

---

[1] بشرى احمد، قبيلة تغلب ودورها في تاريخ العرب قبل الإسلام وصدر الإسلام (سلسلة الرسائل ...، بيروت: دار الكتب العلمية، صفحة 64. بتصرّف.

[2] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ص 540.

من الجنود المنذر وليس بأحد أبناءه؛ فأجاب الحارث ولده إن ليس لشيخ أن يغدر؛ مما دفع ابن الحارث لقتال بشدة لكنه قتل[1].

حين رأى شمر بن عمرو الحنفي صنيع المنذر، قال له: "أيها الملك إن الغدر ليس من شيم الملوك ولا الكرام، وقد غدرت بابن عمك دفعتين"؛ فأغضب حديثه المنذر فقام بطرده. فما كان من شمر بن عمرو الا ان يلتحق بجيش الغساسنة ويحدث الحارث عن غدر المنذر؛ ما سكن الحارث حتى حرض أصحابه وجمعهم في أربعين ألفا لدخلوا في معركة شديدة وقوية؛ انتهت بمقتل المنذر، وهزيمة جيشه. فيقول ابن الرعلاء الضبابي في المعركة: [2]

"كـــم تركنـــا بـــالعين عـــين أبـــاغ   مـــــن ملـــــوك وســــوقة أكفـــــاء

أمطـــرتهم ســـحائب المـــوت تتـــرى   إن فـــي المـــوت راحـــة الأشـــقياء

لـــيس مـــن مـــات فاســـتراح بميـــت   إنمـــا الميـــت ميـــت الأحيـــاء"

2- يوم حليمة (317-327):

سار المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة لقتال الملك الحارث بن جبلة الغساني ملك الغساسنة طالبا بثأر أبيه، فأرسل إليه قائلا: "إني قد أعددت لك الكهول على الفحول"، فأجابه الحارث: "قد أعددت لك المرد على الجرد". ولتقى الفريقين في مرج حليمة، ليشتبكوا في حرب، دامت معاركها عدت أيام؛ يقاتل فيها لفريقين بضراوة وشجاعة لم يسبق لها مثيل. وفي احدى الرويات ان الحارث طلب من ابنته حليمة وهي احدى اجمل نساء قومها بتطييب الجنود قبل خروجهم الى المعركة؛ ثم نادى بالجند: "يا فتيان غسان، من قتل ملك الحيرة، زوجته ابنتي" (حليمة).

فندفع لبيد بن عمرو الغساني وقال لأبيه: "يا أبت؟ أنا قاتل ملك الحيرة أو مقتول دونه لا محالة، ولست أرضى فرسي فأعطني فرسك، فأعطاه فرسه". فلما اشتبك الجيشان واشتدت المعركة ما كان من لبيد الا ان يستل سيفه وضرب المنذر ضربة فقتله وبعد انسحاب حيش المناذرة نزل عن فرسه وقطع راس المنذر، وحمله على فرسه، وتوجه به إلى الحارث في قصره، ليلقيها بين

---

(1) ابن الاثير، "**الكامل في التاريخ**"، مرجع سابق، ص 541.

(2) ابن الاثير، "**الكامل في التاريخ**"، مرجع سابق، ص 542.

يديه، فقال له الحارث: "شأنك بابنة عمك (حليمة)، فقد زوجتك أيها". فأجابه قائلا: "بل أنصرف فأواسي أصحابي بنفسي، فإذا انصرف الناس انصرفت". فعادة الى ارض المعرك يقاتل بشدة حتى قتل، وانتهت المعركة بهزيمة ملوك الحيرة، وانتصار الغساسنة الذين غنموا الكثير من هذه المعركة، واسروا عديد من الجنود العرب ممن كانوا مع المنذر[1].

وكان أحد أسرهم الحارث مائة رجل من بنى تميم، فيهم شأس بن عبدة، ولما سمع أخوه علقمة أرسل وفد الى الحارث مستشفعا باخيه، وأنشده هذه المفضلية، ومما قال فيها:

إلى الحارث الوهاب أعملت ناقتي	"لكلكلها والقصر بين وجيب
لتبلغني دار امرئ كان نائيا	فقد قربتني من نداك قروب
وأنت امرؤ أفضت إليك أمانتي	وقبلك ربتني فضعت ربوب
فأدت بنو كعب بن عوف ربيها	وغودر في بعض الجنود ربيب
فوالله لولا فارس الجون منهم	لآبوا خزايا والإياب حبيب
تقدمه حتى تغيب حجوله	وأنت لبيض الدار عين ضروب
مظاهر سربالي حديد عليهما	عقيلا سيوف مخذم ورسوب
فجالدتهم حتى اتقوك بكبشهم	وقد حان من شمس النهار غروب
وقاتل من غسان أهل حفاظه	وهنب وفأس جالدت وشبب
تخشخش أبدان الحديد عليهم	كما خشخشت يبس الحصاد جنوب
تجود بنفس لا يجاد بمثلها	وأنت بها يوم اللقاء خصيب
كأن رجال الأوس تحت لبانه	وما جمعت جل معاً وعتيب
رغا فوقهم سقب السماء فداحض	بشكته لم يستلب وسليب

[1] عقيل، بهاء الدين أبي محمد عبد الله العقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك 1-2 ج1.؛ المسالك: ما يوم حليمة بسر، 17 ايار 2020 على موقع واي باك مشين.؛ علي، جواد، مرجع سابق، ج5، ص 234.

كـــأنهم صـــابت علـــيهم ســـحابة	صــــــواقعها لطيـــــرهن ريـــــب
فلـــم تـــنج إلا شـــطبة بلجامهـــا	وإلا طمـــــر كالقنــــاة نجيـــب
وإلا كمــــــي ذو حفــــاظ كأنـــــه	بمـا ابتـل مـن حـد الظبـاة خصـيب
وأنـــت الـــذي آثـــاره فـــي عـــدوه	مــن البــؤس والنعمــى لهــن نــدوب
وفــي كــل حــي قــد خبطــت بنعمــة	فحــث لشــأس مــن نــداك ذنــوب
فــلا تحرمنـــي نـــائلاً عــن جنابـــة"	فــإني امــرؤ وســط القبــاب غريــب

"ولما بلغ إلى قوله: (فحق لشأس من نداك ذنوب)، قال الملك: أي والله وأذنبة، ثم أطلق شأساً وقال له: إن شئت الحباء، وإن شئت أسراء قومك. وقال لجلسائه: إن اختار الحباء على قومه فلا خير فيه، فقال: أيها الملك، ما كنت لأختار على قومي شيئاً"، فأطلق الحارث أسرى بني تميم[1].

وفي هذا هذه المعركة ضرب المثل العربي: **ما يوم حليمة بسر.**

3- معركة مؤتة 629م:

جرت معركة مؤتة، خلال العام الثامن للهجرة في جمادي الأول (أغسطس 629 م)؛ والسبب الرئيسي لهذه المعركة هو مقتل الصحابي الحارث بن عمير الأزدي رسول رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى ملك بصرى على يد والي ولاية البلقاء شرحبيل بن عمرو الغساني؛ حيث قام بقطع طريقه، وتوثيقه وانتهى الأمر بضربه لعنقه.

واثر تلك الحادثة غضب الرسول عليه الصلاة والسلام فارسل جيش بقيادة زيد بن حارثة وقال: "إن قُتل زيد فجعفر، وإن قُتل جعفر فعبد الله بن رواحة"، وأوصاهم بقتل الحارث بن عمير الازدي، وان يدعوا الى الإسلام هناك، فان استعصموا استعانوا بالله عليهم، وقاتلوهم، وقال لهم: "اغزوا بسم الله، في سبيل الله، مَنْ كفر بالله، لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة، ولا كبيراً فانياً، ولا منعزلاً بصومعة، ولا تقطعوا نخلاً ولا شجرة، ولا تهدموا بناء". وتقول إحدى الروايات

---

[1] ابن الاثير، مرجع سابق، ص 446- 447.

عندما خرج الجيش فودعتهم النساء قائلات: "ردكم الله إلينا صابرين"؛ فما كان من عبد الله بن رواحه إلا ان يرد عليهن قائلا: "أما أنا فلا ردني الله" .

توقف جيش المسلمين عند مدينة مؤتة؛ بعدد لم يتجاوز ثلاثة آلاف مقاتل، في حين جمع الغساسنة والروم لقتالهم مئتا ألف مقاتل. بداء المسلمون القتال بقيادة زيد بن حارثة، الذي قام بهجوم قوي على البيزنطيين في فجر اليوم الأول للمعركة، وبذلك الهجوم سارت المعركة في صالح المسلمين، حيث ان الروم والغساسنة لم يضعوا في حسابهم ان جيش بهذا الحجم قد يبدا بالقتال. وقام المسلمين بالبدا بالقتال في اليوم الثاني مما الحق بالروم والغساسنة الكثير من القتلى والخسائر. مما جعل الروم بالاقدام على افتتاح القتال في اليوم الثالث؛ وكانت المعارك في هذا اليوم اشد من سابقاتها في اليومين السابقين؛ ففيه استشهد القائد الأول لجيش المسلمين زيد بن الحارث.

فما كان من جعفر بن ابي طالب الا ان حمل رايه الجيش وقاد الجيش كما امر رسول الله عليه الصلاة والسلام، وظل يقاتل حتى قطعت يداه، ومازال يدافع عن رايه المسلمين حتى قتل. فاستلم عبد الله بن رواحة زمام الأمور، وقاتل ببسالة حتى استشهد. واختار المسلمون خالداً بن الوليد قائدا لهم.

فلما أخذ الراية قاتل قتالا شديدا، فقد روى البخاري عن خالد بن الوليد قال: "لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية"[(1)].

وقد جاء عن النبي عليه انه في يوم مؤتة – انه وصف لناس أحداث ساحة المعركة فقال: "أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب – وعيناه تذرفان – حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم"[(2)].

قد كان من الصعب لهذا الجيش الصغير ان يصمد في المعركة وينتصر على جيش الروم الضخم؛ ولكن بفضل دهاء خالد بن الوليد العسكري، استطاع الانسحاب من المعركة باقل الخسائر الممكنة . في ذلك الكثير من الروايات نذكر في ما يلي اهما:فقد استطاع جيش المسلمين الصمود في معاركه لليوم الثالث تحت قيادة خالد بن الوليد.

---

(1) البخاري، (4266).

(2) البخاري، (611/2).

في حين ظل خالد تحضير خطة عسكرية يخرج فيها المسلمين من المعركة، وبطريقة تمنع الروم من مطاردتهم بعد الانسحاب. ففي صبيحة اليوم الرابع للمعركة، طلب خالد من الفرسان باثارة الغبار، وان يعلوا من أصواتهم بالتكبير والتهليل، وكان ذلك جزء من الحرب النفسية التي قام بها خالد لدب الرعب في قلوب الروم، وجعلهم يعتقدون ان هناك مد عظيم قد جاء للمسلمين؛ كما انه بإعادة تنظيم جيشه حيث جعل الميمنة ميسرة، وجند المقدمة في مؤخرة الجيش، وجند الساقية في مقدمة الجيش، كما قام بتبديل رايات. مما جعل الروم يؤكدون على قدوم المدد لجيش المسلمين. وما ان بداء القتال حتى بدا خالد بالانسحاب بالجيش بشكل منتظم وبطيء.

وبعد انسحاب المسلمين بشكل كامل لم يقوم الروم والغساسنه باللحاق بهم ظنا منهم انه المسلمين يدبرون فخا لهم. بذلك لم يطارد جيش الروم المسلمين؛ وبذلك استطاعوا العودة الى للمدينة.



الشكل 8: بقايا اثرية بنت على ارض معركة مؤتة في وقت لاحق

4- معركة اليرموك (636م):

تعد معركة اليرموك 15هـ (636م) احدى اهم المعرك التي خاضها المسلمين ضد الإمبراطورية البيزنطينية خلال الفتوحات الإسلامية؛ ويعتبر عدد من المؤرخين هذه المعركة من

أهم المعارك في الفتوحات الإسلامية، فقد كانت فاتحة لموجة من الانتصارات حققها المسلمين في بلاد الشام. حدثت هذه المعركة بعد وفاة الرسول الله عليه الصلاة والسلام بأربع سنوات[1].

وجاءت هذه المعركة بعد فتح دمشق، وحصار حمص، مما اضعف مقاومة البيزنطين (الروم)؛ فما كان من هرقل الا ان جمع جيشه لمواجهة الخطر الجديد القادم من الجزيرة العربية؛ فحشد جيشه في أنطاكية استعدادا لمعركة فاصلة ضد المسلمين، وجعل من المدينة مستقرا عسكريا له ليدير المعركة. وبدا بتجنيد الإجباري في جميع أنحاء الإمبراطورية، فامر بتجنيد كل من بلغ الحلم في جميع انحاء الولايات؛ وجاء على لسان احد الرواة في وصف الجيوش البيزنطينية في معركة اليرموك: "فأقبل إليه من الجموع ما لا تحمله الأرض". لم يكن هرقل يود في البداية خوض المعركة. وولى هرقل ماهان قيادة الجيوش، وأعطاه 200 ألف درهم، ثم أعطى 100 ألف درهم لكل قادته تحت امرته، وخطب فيهم قبل المعركة قائلاً[2]:

"يا معشر الروم، إن العرب قد ظهروا على الشام ولم يرضوا بها حتى تعاطوا أقاصي بلادكم، وهم لا يرضون بالأرض والمدائن والبُر والشعير والذهب والفضة حتى يَسبُوا الأخوات والأمهات والبنات والأزواج ويخذوا الأحرار وأبناء الملوك عبيداً. فامنعوا حريمكم وسلطانكم ودار مملكتم".

وعندما علم أبو عبيدة بتحركات الروم وخططهم[3]. جمع قادته وتشاور معهم لوضع خطة مناسبة الا ان قادتهم اختلفوا حول الخطة المناسبة لمواجهة الموقف، فما كان من المسلمين الا ان يقوموا بالهجوم باستخدام سرية الخيالة بقيادة خالد بن الوليد الذي استغل سرعة حركة السرية في الهجوم على الروم في أماكن مختلفة مما يقلل الضغط على المسلمين، ويطيح بالخسائر الكبيرة بالروم وظل الوضع كما هو كذلك لمدة أربعة أيام. وفي اليوم الخامس انخفض مستوى القتال بعد طلب الروم لهدنة مدتها ثلاثة أيام؛ لكن رفضها خالد بن الوليد بمقولته المشهورة "**نحن مستعجلون لإنهاء عملنا هذا**".

---

(1) القباني، محمد، **الوجيز في الخلافة الراشدة** الطبعة الأولى سنة 2006، صفحة 21

(2) كامل، احمد، الطريق إلى دمشق، الطبعة الثالثة سنة 1985، صفحة 404

(3) كامل، احمد، الطريق إلى دمشق، ص 407

انسحب الجيش الروماني بعد الاضطراب الداخلي الذي حدث بين قادة الجيوش المحالفة للروم ما أدى الا انخفاض قوة الجيش، بالإضافة الى الاستراتيجية التي اتخذها خالد في القتال. مما جعل المعارك تسير بطريقة لا توائم الروم.

وفي اليوم السادس توقف جيش المسلمين عن الدفاع وقاموا بالهجوم، واستطاع خالد بن الوليد بحنكته العسكرية الفذة من هجوم على الروم واستخدام الأسلوب العسكري الفريد من نوعه آنذاك لينهي المعركة بانتصار مؤزر للمسلمين بعد ما كان الخسارة شبه محتومة.

رابعاً: ملوك الغساسنة:

الغساسنة من قبائل أزدية يمانية، تجمع الروايات التاريخية على أن جدهم الأعلى هو جفنة بن عمرو، فيدعون بني جفنة، وآل جفنة. وكان جبلة أشهر ملوكهم الأوائل، وقد تمكن من أن يمد نفوذه إلى فلسطين سنة 497م، فتقدم إليه البيزنطيون للإستفادة منه[1].

هاجر الغساسنة من اليمن في أواخر القرن الثالث للميلاد، وأقاموا مدة في شمال الحجاز، ثم تقدموا نحو بلاد الشام الجنوبية، وأزاحوا قضاعة (الضجاعمة)، وحلوا محلهم. فكان من ذلك أن اعترف البيزنطيون لهم بنوع من السيادة، ومنحوهم ألقاباً سياسية رفيعة. وقد أقام الغساسنة دولة حاجزة بين سورية والساسانيين، فساعدوا الروم في حربهم مع الساسانيين[2].

امتدت سلطة الغساسنة على القبائل العربية التي نزلت فلسطين والأردن واعتراف سورية، بقول المسعودي: "كانت ديار ملوك غسان في اليرموك والجولان، وغيرهما بين غوطة دمشق وأعمالها، ومنهم من نزل الأردن". وبذلك يكون ملوك غسان قد حكموا حوران والبلقاء والغوطة. وكانت الجابية في الجولان قاعدة سلطتهم وفيها معسكرهم الرئيس، كما اتخذوا جلق مركزاً لهم مدة من الزمن. على أن نفوذ الغساسنة لم يمتد إلى المدن المحصنة كدمشق أو بصرى. واعتنق الغساسنة النصرانية على المذهب البعقوبي، أي القائل بالطبيعة الواحدة للمسيح[3].

مهّد الحصار الاقتصادي للمملكة النبطية وسقوط العاصمة بترا في أيدي الرومان بعد محاولاتهم الكثيرة في القرن الأول والثاني إلى خلق جو من الفراغ السياسي. ودفع هذا الفراغ بملوك

---

(1) نولدكه، مرجع سابق، ص 300.

(2) نولدكه، مرجع سابق، ص 300.

(3) البلاذري، مرجع سابق، ص 420.

الغساسنة إلى إنشاء كيانهم السياسي المستقل وإرساء علاقات تحالف جيدة مع البيزنطيين والدفاع بشراسة عن حدودهم وأمانهم وحريتهم الدينية.

لقد كان حكم الغساسنة مرتكزا على فكرة الحكومة المركزية التي تتشعب منها حكومات صغيرة محلية. فمن حوران ومن ثم البلقاء أدار الغساسنة مملكتهم وتحت حكمهم تم تعيين حكام محليين. فكان هناك حاكم لقبيلة كندة وآخر لفلسطين وآخر لنجران وغالبا ما كان هؤلاء الحكام يسمون (فيلارخ) وفي كتب التاريخ يسمون مجازا ملوك وفي السريانية تكتب كلمة أمير "ملكا" ولهذا ربما أطلق على باقي الملوك لقب ملك. ولم يقتصر هذا التقسيم على المدن الكبيرة إنما امتد للحواضر الصغيرة وقد قسمت ولايتها بين أفراد السلالة الغسانية الحاكمة. أدّى هذا التقسيم إلى اختلاف كبير بين المؤرخين حول عدد الملوك وأماكن حكمهم ومدة حكمهم. سنتناول في هذا الاختلاف بين أهم مؤرخين لمملكة الغساسنة.

الجدول 1

عدد ملوك الغساسنة ومدتة حكمهم في المصادر التاريخية المختلفة

المؤرخ	عدد الملوك	مدة حكمهم
حمزة الأصفهاني[1]	٣٢ ملكًا	6 قرون
ابن قتيبة[2]	١١	غير محددة
الجرجاني[3]	٩	غير محددة
المسعودي[4]	١٠	غير محددة
نولدكه[5]	لا يتجاوز 10	لا تتجاوز قرن

ولم يختلف العلماء في عدد ملوك الغساسنة فقط بل اختلفوا أيضا في مدته حكهم؛ فيظهر في الجدول السابق ان كل من ابن قتيبة والجرجاني، والمسعودي لم يحددوا مدة معينة لحكم الغساسنة، بينما يعتقد الاصفهاني ان حكم الغساسنة في بلاد الشام امتد 6 قرون؛ وخالفه الراي نولدكه حيث أوضح في كتابه ملوك غسان ان مدة حكم الغساسنة لا تتجاوز قرن واحد.

---

(1) الاصفهاني، مرجع سابق.

(2) ابن قتيبة، مرجع سابق.

(3) الجرجاني، مرجع سابق.

(4) المسعودي، مرجع سابق.

(5) نولدكه، أمراء غسان، مرجع سابق.

وفيما يلي دراسة قام الباحث من خلالها بدراسة عدد من المراجع واقوال المؤرخين وجمع في أسماء حكام (ملوك) الغساسنة وفترات حكمهم واهم انجازات عدد منهم. ولخصها بالجدول التالي.

الجدول 2

أسماء ملوك الغساسنة، وفترات حكمهم

الترتيب	فترة الحكم	الحاكم	تعريف بالحاكم
1	220-265م	جفنة بن عمرو	أول من حكم الغساسنة ولقبوا بآل جفنة نسبة إليه. تولى بعده ابنه عمرا ودان بالمسيحية
2	265-270م	عمرو بن جفنة	ذكره ابن إسحاق في الوفد الذين قدموا على رسول الله فيمن أسره زيد بن حارثة من جذام بعد إسلامهم
3	270-287م	ثعلبة بن عمرو	
4	287-307م	الحارث بن ثعلبة	
5	307-317م	جبلة بن الحارث	
6	317-327م	الحارث بن جبلة	فارس يوم حليمة حيث انتصر جيشه على جيش المنذر بن امرئ القيس ملك الحيرة
7	327-330م	الأيهم بن الحارث	
8	327-340م	المنذر الأصغر	
9	327-342م	النعمان بن الحارث	
10	330-356م	عمرو بن الحارث	
11	327-361م	جبلة بن الحارث	
12	361-391م	جفنة بن المنذر	
13	361-462م	النعمان بن المنذر	
14	391-418م	النعمان بن عمرو بن المنذر	
15	418-434	جبلة بن النعمان	
16	434-455م	النعمان بن الأيهم	
17	434-456م	الحارث بن الأيهم	

18	434–453م	النعمان بن الحارث	
29	453–472م	المنذر بن النعمان,	
20	435–486م	عمرو بن النعمان	
21	453–486م	حجر بن النعمان	وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم
22	486–512م	الحارث بن حجر	
23	512–529م	جبلة بن الحارث	
24	529–569م	الحارث بن جبلة	
25	569–581م	المنذر بن الحارث	
26	618–633م	أبو كرب النعمان بن الحارث	
27	582–583م	النعمان بن المنذر	
28	583م	الحارث بن الحارث	
29	614–؟	الأيهم بن جبلة	
30	614–؟	المنذر بن جبلة	
31	618–؟	شراحيل بن جبلة	
32	618–628م	عمرو بن جبلة	
33	628–632م	جبلة بن الحارث	
34	632–638م	جبلة بن الايهم	آخر ملوك الغساسنة، ويروى أنه تنصر بعد اعتناقه الإسلام

ازدهرت دولة الغساسنة في عهد الحارث بن جبلة، فقد حارب الحارث بن أبي شمر الغساني المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة، وانتصر عليه سنة 528م. كما أعان البيزنطين في قمع حركة السامريين سنة 529م. فمنحه الامبراطور جستنيان لقب ‘‘فيلارك’’ ولقب ‘‘بطريق’’، وهما من الألقاب الإدارية الرفيعة عند البيزنطين.

ان سبب اندلاع الحرب بين الغساسنة وملك الحيرة هو الصراع على مناطق النفوذ في المنطقة المعروفة باسم السراط "البادية الواقعة جنوبي تدمر، أي الأرض الممتدة على جانبي الطريق الحربية من دمشق إلى ما بعد تدمر حتى مدينة سرجيوس". وكان كل من الملكين يدعيان

السلطة على القبائل العربية الموجودة في المنطقة. فتوالت الحروب من وقت لاخر بين العدوين حتى انتصر الحارث الغساني على المنذر الثالث وقتله بعد واقعة يوم حليمة سنة 554م.

كان ملوك غسان يقتنون كثيرًا من الجواري الرومانيات، ويكثر في قصورهم المغنون من مكيين وبابليين ويونانيين، والموسيقيون من كلا الجنسين، وكانوا يسرفون في شرب الخمر، وإذا صح ما رواية أبو الفرج في "الأغاني" من أن جبلة كان إذا جلس للشراب فُرش تحته الآس والياسمين وأصناف الرياحين، وضُرب له العنبر والمسك في صحاف الفضة والذهب وأُوقد له العود الندي إن كان شاتيًا، وإن صائفًا بطن بالثلج، وأتى هو وأصحابه بكساء صيفية يتفضل "يمتاز" هو وأصحابه بها، وفي الشتاء بالفراء وما يشبهها، نقول – إذا صح هذا – كان دليلًا على ما تمتع به الغساسنة من ترف وحضارة، وقد وُجد عدد كبير من شعراء العرب في ملوك غسان أعظم رعاة لهم، وعندما نشب الخلاف بين النابغة الذبياني والملك الحيرى وجد النابغة في بلاط غسان خير ملجأ له، وقد حارب لبيد أحد أصحاب المعلقات في جانب الغساسنة في معركة حليمة كما زار بلاطهم، وامتدحهم في الجاهلية حسان بن ثابت الشاعر المدني قبل أن يصبح شاعر النبي عليه السلام.

لم يظهر عددٌ واضحٌ لملوك الغساسنة، فقد كان هناك خلاف واضح بين المُؤرِّخين في عددهم، الا انه كان هناك اتِّفاق على أنَّ أوّل هؤلاء الملوك هو جفنة بن عمرو بن ثعلبة، الذي أخضع قضاعة، وفي ما يأتي ذِكرٌ لأشهر ملوك الغساسنة الذين جاؤوا بعد جفنة بن عمرو[1]: عمرو بن جفنة: هو ابن جفنة بن عمرو بن ثعلبة، ويُنسَب إليه بناء دير أيوب، ودير حالي .ثعلبة بن عمرو: يُنسَب إليه بناء صَرْح الغدير القائم على أطراف حوران .الحارث بن جبلة: تولّى حُكْمَ الغساسنة في فترة الإمبراطور جستنيان، وقد استطاع السيطرة على عرب الشام جميعهم .المُنذِر بن الحارث: هو ابن الحارث بن جبلة، وقد كانت علاقته بالبيزنطيّين مُتوتِّرة؛ وذلك لأنَّه اعتنق مذهب الطبيعة الواحدة (المذهب المونوفيزي) جبلة بن الأيهم: بعد أن تلاشت دولة الغساسنة، اختارت كلُّ قبيلة من الغساسنة أميراً لها، وكان جبلة آخر أمراء الغساسنة، وقد أسلم في عهد الخليفة عمر بن الخطّاب، إلّا أنَّه عاد سريعاً إلى النصرانيّة، واستقرَّ في بلاد البيزنطيّين .أحداث تاريخيّة مُهمَّة.

---

[1] نولدكه، امراء غسان، مرجع سابق.

فقد تلقب منهم الحارث الخامس الأعرج بن أبي شمر بلقبي البطريق والملك من طرف القيصر "بليزي " وشهد سنة ٥٣١ واقعة قالينيقة التي انهزم فيها القائد، "Justinien" جوستينان، الروماني أمهر قواد بوستينان الثاني، وكذا انهزم من المنذر الثالث سنة ٥٣٩م "Bélisair" إلا أنه عوض خسائره في سنين قلائلَ، وغزا بعد ذلك بلاد العرب غزوة انتصر فيها على يهود خيبر، وسافر إلى القسطنطينية سنة ٥٦٢م ومات سنة ٥٧٢م، وساعد الغسانيون المتعاهد معهم من سنة ٥٨٤ إلى سنة ٥٨٨م، والقيصر "Maurice" موريق أيضًا القيصر، هرقل المتعاهد معهم من سنة ٦١٠م إلى سنة ٦٤١م، وقاتلوا في واقعة مؤتة سنة ٦٢٩م وانهزموا فيمن انهزم في واقعة اليرموك سنة ٦٣٤م، وانقادوا للخلفاء الراشدين بعد ذلك بثلاث سنين[1]. وفيما يلي وصف لاهم الملوك الغساسنة:

1- الحارث الثاني بن جبلة ٥٢٩-٥٦٩م:

يلقبه مؤرخو العرب بالأعرج، وهو أول شخصية صحيحة في تاريخ ال جفنة، وكان يُعاصر الإمبراطور جستنيان وكسرى أنو شروان والمنذر الثالث ملك الحيرة، وقد استطاع الحارث أن يظفر بعدد من الألقاب التي اطلقها عليه الإمبراطور جستنيان التي كان أهمها لقب فيلارخوس، ولقب بطريق الذي كان يخلع على أشراف القوم، وذوي المنزلة العالي[2]، ولم يمنحه لقب ملك، الذي كان مقصوراً على أباطرة الرومان[3].

بذلك يمكن الاستدلال على حسن العلاقات بين دولته وببيزنطة في تلك الفترة، كما أن الإمبراطور جستنيان أراد أن يدعم موقف الغساسنة بإعطائهم مثل هذه الألقاب، حتى يكونوا دولة قوية تقف في وجه غزوات البدو المتكررة والمستمرة على حدود بيزنطة، وحتى يكون باستطاعتهم الوقوف في وجه المناذرة والفرس عدو بيزنطة التقليدي، وذهب نولدكة إلى أن أمراء الغساسنة اتخذوا منزلة عظيمة في مراتب الإمبراطورية البيزنطينية، وكان بقاء هذه المنزلة مرهونًا برضا المتبوع عن تابعه، ولاسيما أن سلطة الفيلارخ الغساني كانت مقيدة. بسلطة الحكام الذين تعينهم السلطة المركزية هناك[4] وقد اعتنق الحارث النصرانية على المذهب المنوفيزي، وعمل على نشره حتى أضحت بشرى عاصمة

[1] نولدكه، أمراء غسان، مرجع سابق.

[2] نولدكه، أمراء غسان، مرجع سابق.

[3] نولدكه، أمراء غسان، مرجع سابق.

[4] نولدكه، امراء غسان، مرجع سابق.

دينية في عصره، إضافة إلى شهرتها التجارية، وامتدت دولة الغساسنة في عهده إلى الرصافة شمال تدمر، وشملت حوران والبلقاء.

وقد ذكر المؤرخ تيوفانيس أن الحارث زار بلاط جستنيان في سنة ٥٦٣م، وكان ظهوره بزيه البدوي ذا أثر في نفوس أتباع الإمبراطور، وقد استطاع الحارث أثناء إقامته في القسطنطينية أن يظفر بتعيين الأسقف يعقوب البردعي المنوفستي العقيدة أسقفًا على عرب الشام، وقد عُرفت الكنيسة الشامية المنوفستية من ذلك الوقت باسم الكنيسة اليعقوبية.



الشكل 9: الحارث ملك الغساسنة؛ العرب في الفلكلور والقصص العربية[1]

بلغت المملكة الغسانية أوج اتساعها في عهد الملك الحارث بن جبلة حيث شملت البترا والبلقاء وصحراء الصفا وسهول حوران. وتكللت جهوده في النصر في معركتي عين أباغ ويوم حليمة ضد المناذرة والفرس. على إثر هذه الانتصارات منحه الإمبراطور البيزنطي جوستنيان لقب بطريق وهو لقب ديني/ عسكري. كما منحه لقب "فيلارك" بمعنى رئيس ومن ثم منحه لقب "ملك" وغالبا ما يقترن اسمه بألقاب وصفات أخرى "كالحارث الأمجد والأشهر".

يُحسب للملك الحارث بن جبلة دفاعه عن المذهب الديني (المونوفيزي) فرغم أنه يخالف المذهب الديني الرسمي للإمبراطورية البيزنطينية إلا أنه استطاع تعيين أكثر من 89 أسقفا على امتداد المملكة الغسانية، إضافة لعلاقته الجيدة مع الإمبراطورة البيزنطينية ثيودورا، زوجة

(1) www.facebook.com.

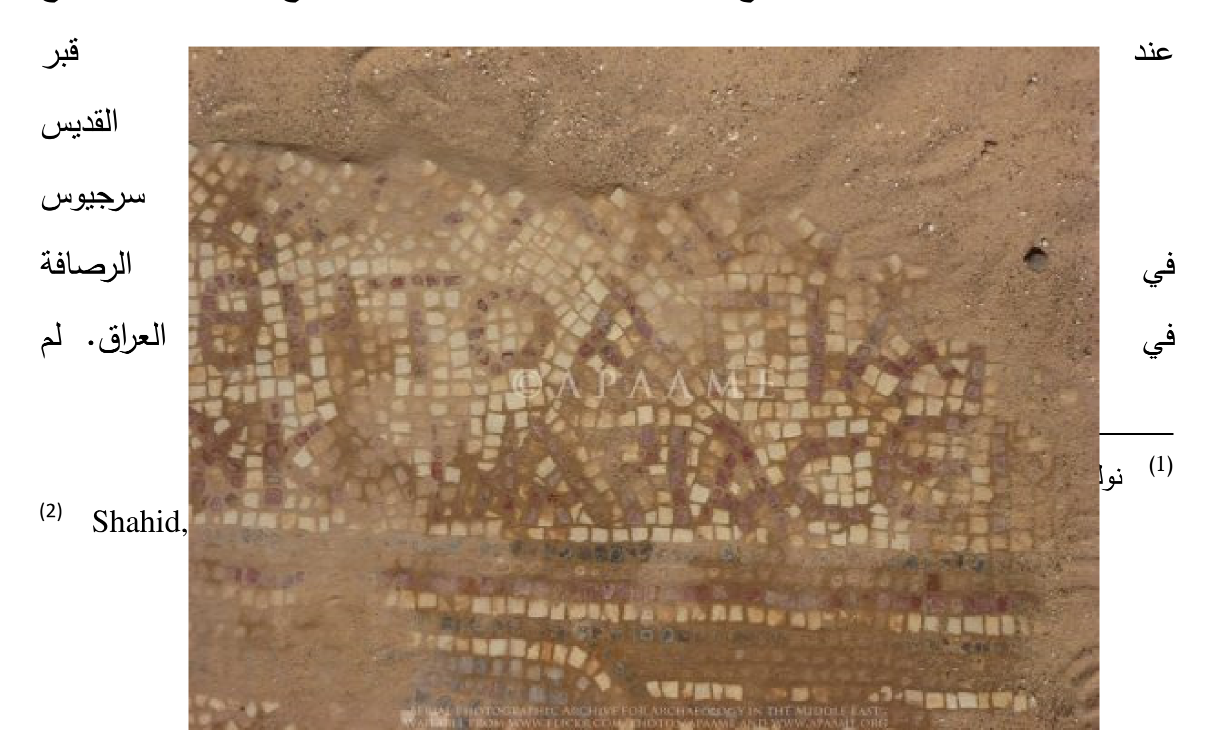
جوستنيان، التي كانت تدين بالمونوفيزية. وساهمت هذه العلاقة الوطيدة في خلق جو من التسامح الديني وإيقاف الاضطهاد الديني الذي كان سائدا من قبل. ولا تزال رسالته إلى القس يعقوب البرادعي شاهدة على العلاقة الوثيقة بينه وبين الأساقفة الذين عينهم.

2- المنذر بن الحارث 569- 681م:

عرف أبو كرب المنذر بن الحارث بحنكته العسكرية، وكان له علاقة طيبة ومترددة مع الدولة البيزنطينية، وخاصة من الإمبراطور جوستيان الذ امر بعزل من الحكم، ولذلك انفصل عن الحكم لمدة ثلاث سنوات انقطعت خلالها العلاقات الغسانية مع الإمبراطورية البيزنطينية. لتعود علاقات لاحقا بسبب الحروب التي خاضتها لدولة البيزنطينية ضد الدولة والساسانية وحلفاءها من المناذرة[1]. وبالفعل استطاع هزيمة المناذرة بعدما عقد البيزنطيين الصلح معه في الرصافة عند قبر القديس سرجيوس.

النقش اليوناني المكتشف في كنيسة موقع تل العميري قرب العاصمة عمان (الشكل:10). ويقرأ النقش بأن الكنيسة رصفت بالفسيفساء في عهد المنذر ولشفاعة القديس جاورجيوس، وفي عام 580 وصل المنذر بن الحارث إلى القسطنطينية وكان رأسه مزينا بالتاج المُهدى إليه من الإمبراطور البيزنطي تيباريوس وهو أمر لم يحصل للملوك الغساسنة من قبله حيث كانوا جميعا يلبسون الإكليل فقط[2].

ورغم العلاقات الحسنة التي أنشأها المنذر مع تيبريوس إلا أنها ضعفت عقب واقعة شهيرة. فعندما تقدمت القوات الغسانية والقوات البيزنطينية لمحاربة الفرس وجدوا جسر نهر الفرات مقطوعا فاتهمه البيزنطيون بالخيانة والتآمر مع الفرس. طلب بعدها البيزنطيون الصلح فقعدوا معاهدة صلح عند قبر القديس سرجيوس في الرصافة في العراق. لم



---

[1] نو

[2] Shahid,

يدم هذا الحال كثيرا، فقد حاول المنذر الغساني إعادة توطيد العلاقات مع البيزنطيين بشن حرب أخرى على المناذرة، فاتهمه البيزنطيون بتحدي الإمبراطورية والكنيسة. وفي أثناء حضور المنذر الغساني لافتتاح كنيسة جديدة، اعتقله البيزنطيون ونقلوه إلى القسطنطينية ومن ثم نُفي إلى جزيرة صقلية هو وعائلته وكان قد حكم 13 سنة تقريبا.

الشكل 10: نقش يوناني من كنيسة تل العمري

رواى للأستاذ نولدكه في كتابه أمراء غسان: أنه في عهد المنذر بن الحارث بن جبلة، وقع شيء من الجفاء بين غسان والروم انقطع على أثره وصول المدد ثلاث سنوات، فانتهز عرب الحيرة هذه الفرصة وأغاروا على سوريا، فاضطر الروم إلى استرضاء الأمير الجفني، وعقدت محالفة بين إمبراطور الروم وملك الغساسنة، ثم ارتاب فيه الإمبراطور ونفاه إلى القسطنطينية ثم إلى صقلية، ولكن المنذر لم يلبث طويلًا في منفاه؛ فقد سخط على الإمبراطور أبناء المنذر الأربعة، وشقوا عصا الطاعة على دولة الروم، ثم أوغلوا تحت قيادة أخيهم الأكبر النعمان في الصحراء، وأخذوا يشنون الغارات على أراضي الدولة، غير أن القائد البيزنطي تمكن من القبض على النعمان وأخذه أسيرًا إلى القسطنطينية سنة ٥٨٣م، وقد تفرقت كلمة العرب في سوريا بعد أن حُمل المنذر أسيرًا إلى عاصمة الروم، وفككت عرى وحدتهم، فاختارت كل قبيلة منهم أميرًا لها، وكان من أثر ذلك أن التحق بعضهم بالفرس، ولما كثر التنازع والتطاحن بين القبائل العربية بعد فقد أميرها، أقام الروم مكان المنذر عاملًا.

وتستطيع أن تستنتج مما ذكره نولدكة أن رواية واحدة كانت تمثل على مسرحين: أحدهما في دمشق والآخر في الحيرة، فليس عزل النعمان الثالث وتعيين إياس بن قبيصة الطائي بدله على عرش الحيرة بمختلف عن أسر المنذر بن الحارث، وتعيين عامل جديد بدله، وإن اختلف ممثلو الرواية في كل حالة.

3- النعمان بن المنذر 582-583م:

بعدما غضب أبناء المنذر الذي تم نفيه الى العاصمة الرومانية (القسطنطينية)، إجتمعوا تحت حكم ابنه الأكبر النعمان وقاد حربا ضد الحامية البيزنطينية في بصرى وغنموا منها غنائم عظيمة مما اضطر الحامية لتتخلى عن ذخائرها الحربية، في حين كانت ثاني أكبر حامية عسكرية بعد حامية دمشق[1]. وليس من المعروف كم بقيت المملكة على هذا الحال إلا أنه يرجح أن الأمور بقيت هكذا لوقت طويل. في النهاية، خطط البيزنطيون لحيلة أوقعت النعمان، فقد طلبوا منه القدوم إلى العاصمة أنطاكية للصلح ومن ثم قبضوا عليه وحبسوه ونفوه إلى عند والده.

بعد سجن المنذر والنعمان دعت الحاجة للاجتماع تحت راية قائد غساني جديد وكان الحارث الأصغر بن الحارث بن جبلة وأخ المنذر بن الحارث هو القائد الجديد. وعقبه عدة ملوك آخرين ولكن حكمهم كان أكثر محلية ولم تتوافر المعلومات الكثيرة عن حقبتهم، سوى ما سجّله المؤرخ الألماني نولدكه عبر استخلاصه أسماء الملوك اللاحقين من الشعر العربي القديم وقد وجد عبر تحقيقه التاريخي ستة أسماء لملوك الغساسنة: (الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر)، (الحارث الأعرج بن الحارث الأصغر)، (أبو حجر النعمان)، (عمرو بن جبلة)، (حجر بن النعمان)، (جبلة بن الأيهم).

4- جبلة ابن الأيهم 632-638م:

كان غزو الفرس للروم والاستيلاء على دمشق وأورشليم "٦١٣-٦١٤" هو الضربة القاضية على نفوذ الغساسنة. وقد حدث سنة ٦٢٩م لما استرد هرقل بلاد الشام من الروم، أن ظهر أحد الغسانيين وهو جبلة بن الأيهم، وهو آخر ملوك الغساسنة، وقد أتى الإسلام على ملكه بعد سقوط

[1] نولدكه، أمراء غسان، ص 200.

الشام في أيدى المسلمين. وقد انضم إلى جانب الروم في أثناء الفتح الإسلامي للشام ولكنه أسلم على أثر انتصار العرب في معركة اليرموك سنة ٦٣٦م.

كان جبلة بن الأيهم ملكاً من ملوك غسان دخل إلى قلبه الإيمان فأسلم ثم كتب إلى الخليفة عمر رضي الله عنه يستأذنه في القدوم عليه سرّ عمرُ والمسلمون لذلك سروراً عظيماً, وكتب إليه عمر: أن اقدم إلينا ولك مالنا وعليك ما علينا .فأقبل جبلة في خمسمائة فارس من قومه... فلما دنا من المدينة لبس ثياباً منسوجة بالذهب, ووضع على رأسه تاجاً مرصعاً بالجوهر, وألبس جنوده ثياباً فاخرة. ثم دخل المدينة فلم يبق أحد إلا خرج ينظر إليه حتى النساء والصبيان. فلما دخل على عمر رحَّب به وأدنى مجلسه. فلما دخل موسم الحج حج عمر وخرج معه جبلة فبينما هو يطوف بالبيت إذ وطئ على إزاره رجل فقير من بني فزارة فالتفت إليه جبلة مغضباً فلطمه فهشم أنفه . فغضب الفزاري واشتكاه إلى عمر بن الخطاب فبعث إليه:

فقال (عمر): ما دعاك يا جبلة إلى أن لطمت أخاك في الطواف فهشمت أنفه!

فقال (جبلة): إنه وطئ إزاري؟ ولولا حرمة البيت لضربت عنقه

فقال له عمر: أما الآن فقد أقررت... فإما أن ترضيه... وإلا اقتص منك ولطمك على وجهك

قال (جبلة): يقتص مني وأنا ملك وهو سوقة!

قال (عمر): يا جبلة ... إن الإسلام قد ساوى بينك وبينه .. فما تفضله بشيء إلا بالتقوى

قال (جبلة): إذن أتنصر...

قال (عمر): من بدل دينه فاقتلوه ... فإن تنصرت ضربت عنقك...

فقال (جبلة): أخّرني إلى غدٍ يا أمير المؤمنين

قال (عمر) : لك ذلك ... فلما كان الليل خرج جبلةُ وأصحابُه من مكة ... وسار إلى القسطنطينية فتنصّر.

وتذكر المصادر التاريخية اسم عامل (فيلارخ) غساني يعرف بأبي كرب كان حاكمًا على المنطقة القريبة من البحر الأحمر، وتتبع له جزيرة جوتاب وفلسطين الثالثة[1]، وهو أخو الحارثة بن جبلة، وقد كان أبو كرب مهيب الجانب مرهوبًا لدى العرب وغيرهم، كما أهدى واحة نخيل بالقرب من تبوك للإمبراطور البيزنطي جستنيان فتقبلها، وقد التزم الغساسنة بدورهم باعتناق النصرانية[2]، متأسين في هذا خطا سليح، وشيدوا عددًا من البيع والأديرة[3].

ومن المتفق عليه أن جبلة بن الأيهم هو آخر حاكم غساني فِعْلي، اذ انتهى حُكمه بعد أن انفضت عنه القبائل وهزمته بعد قتالها إلى جانب جيش خالد بن الوليد في معركة اليرموك عام 363م وقد رحل للقسطنطينية ومات هناك.

غادرت الأسرة الغسانية الحاكمة المشهد السياسي كأسرة مالكة وانخرط أفرادها في المجتمع وفي الدولة الأموية من بعد ذلك، ويقول المؤرخون أن الفرع الحاكم من الغساسنة قد تفرقوا من بعد نفي المنذر فبعضهم انضم للفرس وبعضهم انتخب كحاكم محلي وبعضهم انسحب من المشهد السياسي والديني.

---

(1) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٢، ص ١١٥.

(2) Simon, R, **Meccan Trade and Islam**, Akademiai, Budapest, 1989, pp.31,37.

(3) بيغوليفسكيا، **العرب على حدود بيزنطة**، ص ٢٢١.

الفصل الثالث
المظاهر الاقتصادية، والاجتماعية للمملكة الغسانية

أولا: المظاهر الاقتصادية

1. الطرق التجارية

2. المعارض التجارية والأسواق

3. الضرائب

4. الزراعة

5. الحرف والمهن الأخرى

ثانياً: المظاهر الاجتماعية

1. الأزياء التقليدية والتزين

2. المناسبات والفنون

3. الطعام

4. الطب والعلوم

ثالثاً: الحياة الدينية

الفصل الثالث
المظاهر الاقتصادية و الاجتماعية للمملكة الغسانية

وصف ديودورس الصقلي العرب بأنهم يحبون الحرية حبا جما، فاتخذوا من السماء سقفهم لهم وأقاموا في أرض لا أنهار فيها ولا عيون ماء، فلا يستطيع العدو الإيقاع بهم، وان حاول الوصل لهم فلن يجد له مأوى. كانهم لا يزرعون حباً، ولا يغرسون شجراً، ولا يشربون خمراً، ولا يبنون بيوتاً؛ ومن يخالف العرف يقتل. فهم يأمنون بالإدارة الحرة، وبالحرية[1]. كما إن "هيرودوتس" يوافقه الرأي حيث أشاد في كتاباته إلى حب العرب للحرية وحفاظهم عليها ومقاومتهم لاي قوة تحاول استرقاقهم واستذلهم[2]. فالحرية عند العرب هي من أهم الصفات التي يتصف بها العرب في نظر المؤرخين اليونانيين. لاعتزاز الغساسنة بأصولهم العربية نجدهم كثيروا الترحال وفليس لهم عاصمة محددة ولا ارض محدودة.

برغم من طول ترحالهم وتنقلهم، نزل الغساسنة بما يعرف في وقتنا الحاضر بارض البلقاء وحوران؛ وفيها تغلبوا على الضجاعمة القضاعيين وأسسوا لدولة الغساسنة. وتعرف تلك المنطقة ببصرى الشام او أسكي الشام[3]؛ وأصبح بذلك أتباعا للروم البيزنطيين الذين استعانوا بهم خلال حروبه مع الفرس الساسانيين وأيضا على القبائل العربية التي تغير على حدودهم وممتلكاتهم.

أولا: المظاهر الاقتصادية

مكّن الموقع الاستراتيجي للمملكة الغسانية الواقع على الطرق التجارية المهمة في تلك الفترة وازدهار العديد من الصناعات. وذلك جعلها تستفيد أقصى استفادة من القوافل التجارية التي تقصد الشرق الأقصى والهند وتلك التي تعبر متجهة لمصر أو للبحر الأبيض المتوسطز فلم تكن الدولة الغسانية دولة زراعية.

وبرغم من الحالة الحربية المتقلبة والمعارك التي تنشب باستمرار مع المناذرة أو الفرس الساسانيين، استطاعت المملكة الغسانية أن تخلق جوا آمنا لتلك القوافل. في العالم القديم، لم تكن

---

(1) Diodorus, 19, 94, 95, Die Araber in der Aiten Welt, I, S., 31.

(2) Herodotus, Vol., I, p.254.

(3) انظر: جرجي، زيدان، **العرب قبل الإسلام**، مرجع ساب، ص144.

الحروب لتوقف سير الحياة التجارية والصناعية فكانت الحضارات القديمة تبرم عهودا خاصة لتضمن أمان قوافلها مثل إيلاف قريش[1].

وكان الغساسنة من اضطلع بالمهمة الصعبة: مهمة تأمين القوافل وضمان سلامة البضائع. سنستعرض فيما يلي أهم محاور الاقتصاد الغساني وكيف استغل الغساسنة بحكمة وذكاء موقعهم الاستراتيجي وأيضا عدد من الصناعات التي ازدهرت جراء هذا الموقع[2].

1. الطرق التجارية:

أ- طريق الحرير:

يعدُّ طريق الحرير الواصل بين حضارات العالم القديم أشهر الطرق التجارية على مستوى العالم. وذلك كونه يصل الشرق الأقصى (الصين – مدينة تشانغ آن تحديدا- واليابان والهند ومناطق نفوذ الإمبراطورية الفارسية) بالمشرق (الأردن والعراق وسوريا ومصر والجزيرة العربية) وبالغرب (الإمبراطوريات اليونانية والرومانية – مدينة أنطاكية تحديدا)[3].

تتفرع عن هذا الطريق طرق تجارية ثانوية حيوية تربط المدن والحواضر في بعضها البعض. ولكن التقسيم الأكثر شهرة والذي كان سائدا زمن الغساسنة هو تقسيم طريق الحرير لطريقين: طريق البحري وطريق البري[4]. يمتد طريق البحر من الصين إلى سريلانكا (كانت تعرف بسيلان قديما) وصولا إلى البحر الأحمر. أما طريق البر فكان يمتد من الصين عبر آسيا الوسطى ماراً ببلاد فارس وصولا إلى بلاد الرافدين ومن ثم الأردن.

كانت منطقة جنوب بلاد الشام في عهد المملكة الغسانية النصيب الاوافر من التجارة. فالطريق البري يمر قطعا بالأراضي جنوب بلاد الشام عبر وادي السرحان (دومة الجندل) وصولا للمدن الغسانية المنتعشة تجاريا كالجابية في حوران وبيت راس وجرش ومادبا وغيرها .أما طريق

---

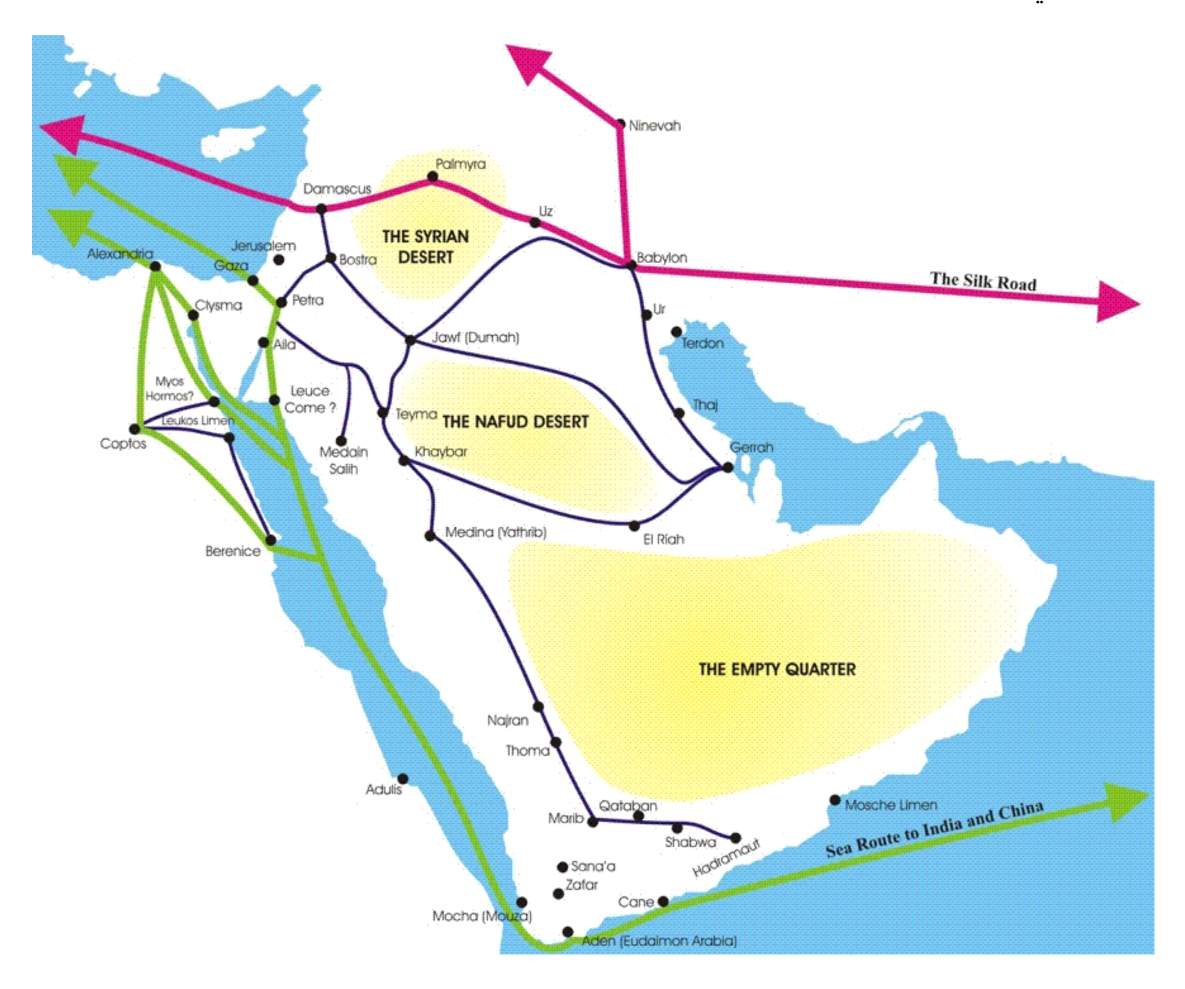
(1) عبد العزيز سالم، **دراسات في تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، مرجع سابق، ص485.

(2) عبد العزيز سالم، **دراسات في تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، المرجع السابق، ص 485

(3) شمس، طارق أحمد، **الشرق على طريق الحرير : دراسة تاريخية، جغرافية، اقتصادية، 3000 قبل الميلاد- 2017 ميلادية**، الطبعة الأولى، بيروت، دار الفاربي، 2018، ص 200.

(4) Shahid, I. **Byzantine and Arabs in the sixth century**, Political and Military music (1995), VOL1,

البحر فكان يصل للبحر الأحمر إلى ميناء أيلة (العقبة) وسنبحث فيما يلي، بتفصيل أكبر، الطرق التجارية في عهد الغساسنة.[1]



الشكل 11: طريق البخور

شارك الغساسنة بشكل فاعل في حركة التجارة العالمية آنذاك، إذ سيّروا القوافل وروّجوا لبضاعتهم التي تباينت بين الخمر والمزروعات والثياب وغيرها. ولكن كُتب التاريخ تخص الغساسنة دوما بلقب حُماة القوافل.

كما ذكر الباحث عن طريق الحرير الذي كان عامرا بالقوافل، يجب ألا ننسى أن الطريق كان صعبا من نواح عدة. من ناحية طبيعية جغرافية يمتد على عدد هائل من التضاريس. يجعل هذا الطقس أيضا غير مأمونا. أما الناحية الأخرى فكانت انتشار قُطّاع الطرق الذين ينهبون ويسلبون القوافل التجارية. وشكّل مرور القوافل التجارية بإمبراطوريات العالم القديم هاجسا آخر أمنيا

---

[1] Shahid, I. Byzantine and Arabs in the sixth century, Political and Military music (1995), VOL1,

وعسكريا، فرغم المعاهدات التي تضمن مرور القوافل؛ تظل الثغور والحدود متحفزة دوما ولهذا كان الغساسنة حُماة القوافل التجارية على طريق الحرير المار بالأراضي الغسانية[1].

وفي الأحلاف السياسية بين الفرس والمناذرة مقابل الغساسنة والبيزنطيين، كان الغساسنة ينفردون بحماية القوافل لما عرف عنهم من قوة وحكمة. فبعد النصر الكبير الذي أحرزه الغساسنة على المناذرة عام 554 ميلادي وبعد نقاشات كثير محتدمة بين الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطينية ومملكتي الغساسنة والمناذرة، صيغت معاهدة سلم عام 561 ميلادي نصت على أن للغساسنة الحق في عقاب كل من يتعدى على القوافل التجارية وأن عليهم حماية القوافل التجارية وإيصالها آمنة مقابل ضريبة يقتطعونها من التجار وكانت تلك مهمة يسيرة على الغساسنة لمعرفتهم بطبوغرافية المنطقة جيدا ولتفوقهم العسكري كذلك[2].

ب- الطريق العربي الغربي:

نتيجة للصراعات المستمرة بين الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطينية وانخراط الغساسنة بالحروب مع المناذرة خصيصا في القرن الخامس الميلادي، ظهر طريق تجاري جديد يتفرع عن طريق الحرير، ويبدأ هذا الطريق الفرعي من اليمن شمالا ليمر بمدينة تبوك (التي كانت وقتها ضمن النفوذ الغساني) وصولا للمدن المزدهرة كالبترا والربّة ومعان ومادبا وعمّان وإن كانت القوافل ستقصد البحر الأبيض المتوسط فعليها أيضا أن تمر من الميناء الغساني في غزة[3].

كما كان الغساسنة مسؤولين عن تأمين هذا الطريق بأكمله، ولهذا امتد نفوذهم ووجودهم كحضارة وثقافة مسيحية إلى جنوب الجزيرة العربية فكانوا يستريحون في نجران التي اعتنق أهلها المسيحية وكانت على تواصل قوي مع الغساسنة. ورغم أهمية طريق الحرير الرئيسي إلا أن الطريق العربي الغربي كان ذي أهمية أكبر بالنسبة للأردنيين الغساسنة فقد جعلهم ينخرطون أكثر في التجارة بعيدة المدى سواء عبر البر في الجزيرة العربية أو عبر البحر عن طريق المرور

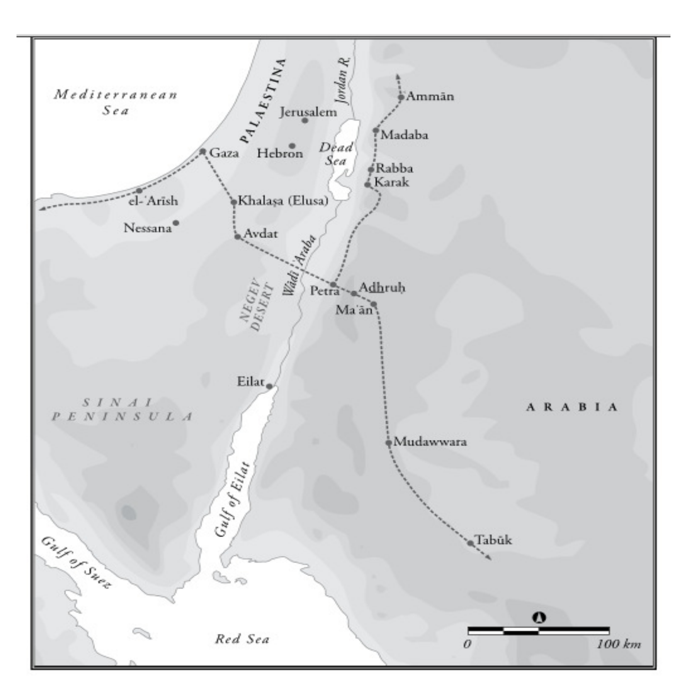
---

(1) Shahid, I. Byzantine and Arabs in the sixth century, Political and Military music (1995), VOL1.

(2) جواد على، المفصل في تاريخ العرب مرجع سابق، ص 420.

(3) Shahid, I. **Byzantine and Arabs in the sixth century**, Political and Military music (1995), VOL1, pp 15.

بفلسطين التي كانت تحت ولاية الأمير الغساني أبو كرب، أخ الملك الغساني الحارث. وقد أدت هذه الخبرة الطويلة المتراكمة إلى خلق أساليب دفاعية متميزة[1].



الشكل 12: الطريق العربي الغربي[2]

ج- طريق وادي السرحان:

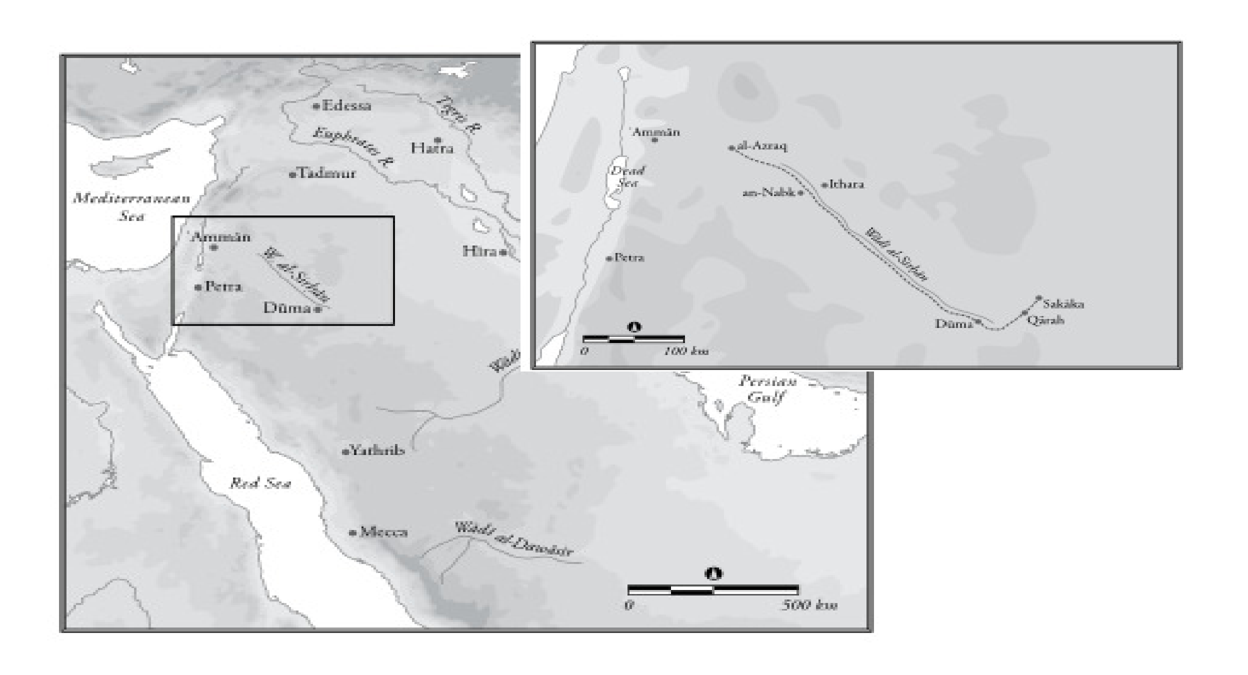
وادي السرحان او وادي الأزرق والذي يعرف على كونه منخفض تضاريسي يمتد من في المنطقة شمال شرق الأردن إلى بادية الصفاوي في جنوب الازرق، وهي منطقة تحت سيطرة القبائل العربية البدوية في البادية الشمالية على مر العصور.

ومن أهم مدن غسانية على طول هذا الطريق هي "كذَومة الجندل والنبك والأزرق ودوما". حيث شهد الوادي العديد من مواجهات حربية ومنها المعرك التي خاضعا الملك الغساني الحارث ضد قبائل تميم. اكتسب هذا الطريق أهميته من طبيعته الجغرافية فهو منخفض تتجمع فيه مياه الأمطار الآتية من الأزرق وفيه حوض مائي جوفي ضخم كما أن طبيعته الجيولوجية متميزة للغاية، فصخور وادي السرحان إحدى أهم مصادر الملح في المشرق بأكمله[3]. ساعدت تلك

---

(1) Shahid, I. **Byzantine and Arabs in the sixth century**, pp. 15.
(2) Shahid, I. **Byzantine and Arabs in the sixth century** Ibid, pp. 16.
(3) Shahid, I. **Byzantine and Arabs in the sixth century**, Political and Military music, Ibid, pp 25.

الخصائص على ازدهار التجارة في طريق وادي السرحان وكان الغساسنة يولون اهتماما بالغا لهذا الطريق.



الشكل 13: طريق وادي السرحان

د- الطريق البحري:

بالإضافة الى الطرق التجاية البرية التي تمر من الأراضي الغسانية، فهي تقع أيضا على بحري مهم. وهذا الطريق يربط البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط المتوسط. ومن اهم الموانئ في المنطقة هي مناء إيلة (العقبة) على البحر الأحمر، وميناء غزة على البحر الأبيض المتوسط. وأيضا قام الملك الغساني أبو الكرب ببناء ميناء صوغر واستطاع بهذه الموانئ بنقل البضاء من الى الأسواق المصرية والبيزنطينية.[1]

وقد برع الغساسنة في إدارة هذه الموانئ وتأمينها، حيث قاد ذلك الى ازدهار التجارة خاصة في الجزء الجنوبي من المملكة. وحيث وجود البحر الأحمر الذي يمتاز بأهمية خاصة لوجود جزيرة

[1] شمس، طارق أحمد، **الشرق على طريق الحرير : دراسة تاريخية، جغرافية، اقتصادية، 3000 قبل الميلاد- 2017 ميلادية**، مرجع سابق، ص 207.

أيوتاب (جزيرة تيران حاليا) فيه، والتي تعد محطة تجارية مهمة للسفن المحملة بالبضائع، وقد خضعت هذه الجزيرة لسيطرة الملك الغساني جبلة بن الحارث[1].

في حين اكتسب ميناء أيله مكانة تجارية مميزة في الفترة الغسانية لكونها بوابة المشرق على حضارات العالم القديم وراء المحيط الهندي ونقطة التقاء القوافل والسفن.

2- المعارض التجارية والأسواق:

جعل موقع المملكة الغسانية الاستراتيجي منها احدى اهم المراكز التجارية، لمرور القوافل التجارية من أراضيها؛ كما انها استفادت أيضا من الطرق التجارية البديلة التي أسسها الرومان وقامت المملكة بانشاء العديد من الأسواق والمعارض على طول الطرق التجارية للإفادة من القوافل القادمة من جنوب الجزيرة العربية والهند والصين، واروبا.

شهدت جنوب بلاد الشام في الفترة البيزنطينية قام حلف قيام الديكابوليس الذي يعتمد نظام الحكم الذاتي او يعرف بالفدرالي حاليا. وقد اعجب الغساسنة بهذا النظام لانه بدو من طبيعتهم رفض أي شيء يسلبهم حريتهم وسياديتهم[2].

ومن مدن الديكابولس "فيلادلفيا وبيلا وأرابيلا وجدارا وكانثا ودايون وهيبوس وجراسا"، وأسمائها الحالية على التوالي "عمان، طبقة فحل، أم قيس، أم الجمال، إيدون، الحصن وجرش"، ولازالت هذه المدن لها مركزها التجاري منذ قرون طويلة[3].

3- الضرائب:

جمع الغساسنة الضرائب من القبائل العربية على غرار ما كان يقوم به اللخميون في السابق، وكانت تقدر الضريبة بعشر قيمة البضائع وذلك لحماية القافلة التجارية[4].

---

[1] الطبري،، ١٩٦١، **تاريخ الرسل والملوك**، ج 1، مصر، دار المعارف، ص 2135-2126.

[2] http://jordanheritage.jo/pella-of-the-decapolis/ see 21 feb,2020.

[3] http://www.historyofjordan.com/jordan2/jh/collection1.php?id=104&page=1048 see 21 feb,2020.

[4] Shahid, I. **Byzantine and Arabs in the sixth century**, Ibid, pp

4- الزراعة:

تعتبر الأراضي الاتي مد الغسانيين سيطرتهم عليه خاصة في بلاد الشام كاراضي الحوران أراضي البلقاء ارضا خصة وسهلة الزراعة، ورغم القليل من المصادر التي تتحدث عن الزراعة وطرقها خلال الفترة الغسانية، الا ان ذكر كروم العنب والأراضي المزروعة بالقمح والخبز في الشعر الجاهلي فد دل على احتراف الغساسنة الزراعة وبراعتهم بها أيضا. كما ساهمت الأسواق التجارية ومرور القوافل التجارية من المنطقة في تسويق هذه المتوجات

5- الحرف والمهن الأخرى:

انتشر العديد من مهن وحرف المملكة الغساسنة، ونتج عن ذلك زيادة في الإنتاجية وتنوعها، حيث امتاز المجتمع الغساني في عدد من الصناعات ومنها دباغة الجلود؛ وصناعات المرتبطة بها من صناعة الأحذية والحقائب وغيرها من الأدوات الخاصة بالأحصنة والحرب. كما عمل الغساسنة في النسيج فقد كانوا بصنعون اجود والثياب الفاخرة في تلك الفترة وذلك بسبب تجارة الحرير التي اكتسبوها من وقعهم على طريق الحرير[1].

كما استطاع الغساسنة الملاحة في البحر واشتهروا بمهارتهم ونستدل على ذلك، بوجود موانئ في كل من ايلة (العقبة) وميناء صوغر وميناء غزة. وقد استفادوا من هذه الموانئ في التجارة مع الرومان. كما عرفوا النجارة فقد عرف عن السيد المسيح عليه السلام انه كان نجارا مما جعل لتلك المهنه طابع ديني في المملكة الغسانية[2].

كما اشتهر آل غسان ببراعتهم في الصناعات الحربية وقد اطلق على مدينة من مدن البلقاء تسمى المشارف والتي نسب اليها "السيف المشرفي" وهو من أجود واغلى أنواع السيوف في ذلك العصر. وكان سرجس احد اهم صناع السيوف في المملكة الغسانية، وكانت السيوف التي يصنعها تحمل اسم السُرجيات تكريما له، وقد قال الشاعر العجاج فيها "وبالسُرجيات يخطفن القصر".

---

(1) Ibid, pp
Shahid, I. **Byzantine and Arabs in the sixth century**, Ibid, pp220.

ثانيا: المظاهر الاجتماعية

انتقل الغساسنة إلى نظام المدينة سريعا، ولكنهم رغم ذلك لم يتخلوا عن العادات والتقاليد البدوية. فكما ناقشنا، لدى الغساسنة شيخ أو رئيس وبحسب العادة يذكر الأشراف والشيوخ في المخطوطات والنقوش ولأن التأثير الروماني طال بعض جوانب الحياة الغسانية فقد خلدت أسماء الأعلام المشهورة باليونانية خصوصا في التأريخ المسيحي.

فحسب المصادر اليونانية، يذكر الحارث باسم "أريتاس" ويوصف بأنه "قائد جميع مسيحيي الحواضر" ويمكننا رؤية هذا التجانس الحاصل من تلاقي التنظيم القبلي المتمثل بشيخ القبيلة البدوي وبين التوسع الحضري الذي شهدته المدينة الغسانية فانتقل الحارث من شيخ إلى قائد فملك[1].

ونستشف من النقوش أن قبائل آل غسان كان فيها ما يعرف بطبقة الأشراف الذين يُعتبرون "حكم الأقلية" وهم على خلاف المجتمع القبلي في شبه الجزيرة العربية لهم تأثير لا بأس به على قرارات الحاكم .وهنالك الطبقة المتوسطة طبقة المزارعين وتليها طبقة التجار الصغار والكبار والحرفيون وتقبع طبقة العبيد نهاية السلم الاجتماعي.

1- الأزياء التقليدية والتزين:

يتميز الزي التقليدي عند العرب الغساسنة بالبساطة والجمال وملاءمته لشروط الحياة الاجتماعية وأنماط العمل وتقلبات المناخ الحار صيفا البارد شتاء، فيتمنطقون فوقها بقطعة من الجلد يضعون فيها الخنجر ونحوه من الأسلحة، ويغطون رؤوسهم بكوافي[2]، يضعون فوقها عقالات[3]، ومنهم ما يلبس طاقية وفوقها عمامة[4].

لا يقتصر تأثر اللباس الغساني بتأثرهم بعرب الجزيرة العربية ولكنهم بوصفهم في صف الإمبراطورية الرومانية تأثروا كثيرا في الزي الروماني. يمكن تلخيص تأثرهم في الحضارة الرومانية

---

(1) اليسوعي، الآداب النصرانية قبل الإسلام، (ط2) دار المشرق: بيروت، 2011

(2) قطعة من النسيج مربعة، ومفردها كوفية.

(3) مفردها عقال وهي عصائب من غزل الصوف المبروم.

(4) داغر، اسعد، حضارة العرب تاريخهم علومهم آدابهم أخلاقهم عاداتهم، مطبعة هندية بالموسكى: مصر/ 1918م، ص 114.

بارتباط الزي بالألقاب التي تمنحها الإمبراطورية للأمراء العرب فمثلا يمتلك "الفيلارخ– الوالي" زيا خاصا، إضافة لذلك، فقد كان الأباطرة الرومان يغدقون بالهدايا على الأمراء وكانت الملابس والمجوهرات من أهم أصناف الهدايا التي تقدّم[1].

أ- أزياء المرأة:

كانت النساء الفقراء عند العرب يرتدين قميصا طويلا ذو أذيال وسرابالا؛ بينما حديثات السن فكن يضعن الخمار على رؤوسهم ويلبسن بردا يلف جسدها ولا يحتوي على جيوب أو أكمام. وكان من عادت النساء ان يتطيبن، فلكل واحدة منهن قفة تجمع فيها أدوات الطيب الخاصة بها وتحملها دوما ولا تفارقها ابدأ[2].

تزيت المراءة العربية بالخواتم كالرجال كما أنها وضعت الأساور في ساعدها، وتقلدت بالعقود، ووضعت الأقراط الثمينة بأذنيها. كما أنهن اهتممن بشعورهن فكان النساء تقوم بكي شعرها وترشه بالعطر[3].

ب- أزياء الرجال:

كان رجال العرب يلبسون العباءات المنسوجة من شعر الماعز والابل، وكانوا يميلون إلى التفرد بالملابس[4]؛ فكما ذكرنا سابقا فقد سمي عامر بن ماء السماء بالمزياق لتمزيقه أرديته حتى لا يرتدي احد مثله ا وان يعيد ارتداء ذات الزي مرة أخرى. وارتدى الرجال أيضا الحلى من خواتم وقلائد، قال ابن خلدون انهم صنعوها من الياقوت والفيروز[5].

ج- ملابس الملك والأمراء:

لا يوجد الكثير من المصادر التي تناولت ملابس ملوك وأمراء آل غسان، ومن خلال تحليل الشعر الغساني، فان للأسرة الحاكمة زي خاص يسمى باسيلية ويوصف هذا الزي برداء المقصب

---

(1) Shahid, Irfan, "Bazantinum and Arab in the sixth century", Vol2, Part 2 Dumbarton Oaks, Harvard University,1996.

(2) داغر، اسعد، حضارة العرب تاريخهم علومهم آدابهم أخلاقهم عاداتهم، مرجع سابق، ص 114.

(3) داغر، اسعد، حضارة العرب تاريخهم علومهم آدابهم أخلاقهم عاداتهم، ص 115.

(4) داغر، اسعد، حضارة العرب تاريخهم علومهم آدابهم أخلاقهم عاداتهم، مرجع السابق، ص 114.

(5) داغر، اسعد، حضارة العرب تاريخهم علومهم آدابهم أخلاقهم عاداتهم، مرجع السابق، ص 115.

بالذهب وبنفسجي اللون وعلى صدره يوجد قلادة من فضة، وقد صنع هذا الرداء من الحرير، كما كان يرتدي الحاكم الطيلسان او القبعات الفضية التي تكشف جزاء من الراس[1].

وقد ارتدت نساء القصر من الاميرات رداء ابيض طويل يغطي الركبة، كما كان الكثير من أبناء البلاط الملكي يرتدون هذا النوع من الملابس/ وكان الملك يهدي مثل هذا النوع من الملابس لشعراء ممن قاموا بمدحه[2].

كما غطت نساء العرب وجوهم بقطع من القماش الشفاف فوق الرداء الأبيض المصنوع من القطن او الحرير. واستمر هذا النوع من الأزياء منتشرا حتى بعد الفتوحات الإسلامية وبداية العصر الأموي في المنطقة[3].



الشكل 14: صورة توضيحي للازياء عند الغساسنة

---

(1) غطاء عربي للرأس، داغر، اسعد، حضارة العرب تاريخهم علومهم آدابهم أخلاقهم عاداتهم.

(2) Shahid, I. **Byzantine and Arabs in the sixth century**, Ibid, pp

(3) Shahid, I. **Byzantine and Arabs in the sixth century**, Ibid, pp

بهذا قد تعرفنا على الأزياء في الدولة الغسانية من خلال تحليل للأبيات الشعرية والمقتطفات الأدبية التي وصفت الغساسنة بشكل عام والبلاط الملكي بشكل خاص.

2- المناسبات والفنون:

أ- الفنون (الرقص والغناء):

برع الغساسنة بكتابة الشعر المنسق والذي اتبع اوزان موسيقية موحدة وجميلة، وتعتبر مجالس الغناء والرقص الأمور المميزة وواسعت الانتشار في المجتمع الغساني. وبم يعتبر هذا النوع ن الموسيقى منافيا للمذهب الديني المونوفيزي الذي اعتنقه الغساسنة.

وقد ذكر الشاعر حسان بن ثابت في شعره وصفا مفصلا لأحدى مجلس الغناء فهناك "المُسمِعة" أي المغنية وهنالك "المنشِد" وهو المغني وهنالك "الساقي" الذي يصب الخمر حاضرن المجلس. كما وصف أيضا ملابس المغنيات، والذي لايختلف كثيرا عن ملابس النساء الاخريات، وقد ارتدين الحلى الثمينة والتي يحصلن عليها اجرا على الغناء.

ب- الموسيقى والاحتفالات الدينية:

لم يتعارض المذهب المسيحي عند الغساسنة مع الموسيقى بل ساهم في انتشارها. حيث ادخل القديس بطرس الترانيم المغناة للصلاة وعلمها لقساوسة والاباء. بذلك اصبح تعلم الموسيقى جزء من الدين حيث اعتبرت أمرا روحيا يتناغم من تلاوة الترانيم المقدسة والتسابيح؛ ويعتبر الباحثون ان كل من كنائس الموجودة في مأدبا وجرش قد سهموا في انتشار هذا النوع من الترانيم المغناة بشكل واسع[1].

ج- الأعياد والمناسبات:

احتفل الغسانيون بلا شك بأعياد التقويم المسيحي، كان الأكثر أهمية هي: عيد الميلاد، وأحد الشعانين، وعيد الفصح، وقد تم توثيق اثنين من هذه الأعياد أو ربما أكثر في بعض الأبيات الشعرية، والتي تشهد كذلك على الجوانب الاجتماعية لهذه الاعياد[2].

---

[1] Shahid, I. **Byzantine and Arabs in the sixth century**

[2] Shahid, I. **Byzantine and Arabs in the sixth century** Ibid, Pp. 65.

كان عيد الفصح هو عيد العيد العظيم للمسيحية، ولكن كان أحد الشعانين مناسبة سعيدة، وأقل كآبة من عيد الفصح والأسبوع المقدس. كان النخيل جزء مهم من الاحتفال بأحد الشعانين، كما انه متاحًا في المنطقة. احتفل الغسانيين بعيد الأحد النخيل وظهر ذلك من خلال ما كتبه كل من الشاعرين: حسن و النبيغة، الذان يكملان بعضهما البعض في أوصاف شهود العيان للمشهد في أحد الشعانين في قصور الغساسنة. بينما يصف النابغة الأميرات الشابات في المنزل الملكي الذين يقدمون باقات زهورهم إلى حكام[1]؛ ويصفهم حسن بأنهم ينسجون أكاليل المرجان بهذه المناسبة[2] من ممارسة تقديم الزهور في أحد الشعانين، تم تطبيق مصطلح "تحية" (جمع الطابية)، "salu-tations" ، على الزهور المقدمة أثناء التحية، وأصبح الاسم الذي عرف به الحاضر نفسه[3].

لقد كان للغساسنة أوزان شعرية وأنماط غنائية تترافق حصرا مع التراتيل الدينية مثل الزمزمة والرجعة والهينمة والسبحة والجعرة وقد اختفت تماما مع مجيء الإسلام[4].

3- الطعام:

الطعام أحدى الأوجه الحضارية لعديد من الدول؛ ويعكس الطعام أخلاقيات مهمة لدى الشعب، ومن اهم تلك الاخلاق الكرم حيث عرف عند العرب الغساسنة الكرم الشديد حيث انهم يقدموا الولائم لضيف؛ وكان هناك نار خاصة لطهي طعام الضيف. كما ان لاشتعال النار أمام بيت تدل على الكرم واستعداهم لاستقبال الدائم لضيوف. وجاء بالأهازيج التقليدية ذكر كرم الغساسنة؛ حيث قالوا نارهم وقادة وجاء بالشعر العربي "أوقر للضيف من بني غسان" لمعنى ان الضيف يكرم في ضيافة آل غسان[5].

---

(1) Ibrāhīm Dīwān. M, **al-Nābigha al-Dubyānī**, Cairo, 1977 , 47, verses 25–26. (London, 1971), I, 174, verse 14.

(2) Ḥassān, Dīwān, I, 255, verses 6–8; for “wreaths of coral,” akillat al-marjān, see verse 6.

(3) Shahid, I. **Byzantine and Arabs in the sixth century**, Ibid, pp 66.

(4) Shahid, I. **Byzantine and Arabs in the sixth century**, Ibid, pp 66.

(5) علي، جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج4، مرجع سابق، ص 84-570.

وصف المؤرخين اليونان الغساسنة أنهم متقدين اجتماعيا ومنفتحين عل العالم.[1] وكما وصفنا سابقا سمي آل غسان بآل جفنة لشدة كرمهم وجودهم. فكانت تلك الصفات اكثر ما كان يميز القبائل الغسانية عن غيرهم من العرب. وقد عرف طبق مميز عن الغساسنة وهو عبارة عن خبز منقوع بمرق اللحم وللبن ويسمى هذا الطبق بالثريدة؛ وقد قيل "لا ثريدة أطيب من ثريدة آل غسان"[2].

كما اشتهر عن الغساسنة طبقة المضيرة أيضا وسميت في بعض الأحيان بمضيرة الغساسنة؛ وهي عبارة عن اللبن الحامض والجريش بالإضافة للحم المسلوق. ويعرف هذا الطبق بالأردن حاليا باسم الجريش[3].

تباينت المناسبات التي قدم فيها الغساسنة الموائد العظيمة، فمنها مناسيات اجتماعية كاحتفالات الزواج او الماتم، ومنها مناسبات دينية كوليمة يوم الميلاد المجيد ووليمة ميلاد طفل جديد وسمية بوليمة العقيقة.

- **الخبز:**

هل كان الخبز مصدرا أساسيا للغذاء الغساسنة؟ طرح هذا التساؤل كثير من المؤرخين؛ الذين اختلفوا في تأثر الغساسنة بالبيزنطيين الذين قاموا بزراعة القمح. ورجح عدد من العلماء ذلك لان الاراضي الدولة الغسانية مثل سهول حوران والبلقاء، مناسبة جدا لهذا النوع من المحاصيل[4].

وسمي الخبز لدى الغساسنة بحوارة، ويعتقد الباحثين انه هذا الاسم مرتبطة بمدينة الحوارة الموجودة في شمال الأردن؛ التي حملت نفس الاسم. وكان العرب يغمسون الخبز بالجبن والعسل وزيت الزيتون، وكان الخبز وزيت الزيتون من اهم الواجبات والأكثر انتشارا بالمنطقة[5].

- **الماء والحليب والخمر:**

---

[1] علي، جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج4، مرجع سابق، ص 84–570.

[2] علي، جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج4، مرجع سابق، ص 84–570.

[3] Shahid, I. **Byzantine and Arabs in the sixth century**, Ibid, pp 129.

[4] علي، جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج4، مرجع سابق، ص 84–570.

[5] Shahid, I. **Byzantine and Arabs in the sixth century**, Ibid, pp 130.

ان الوصول الى الماء من اهم أولويات البدو، فنلاحظ ان السبب الرئيسي لهجرت القبائل البدوية العربية من جنوب الجزيرة العربية، هو قلة المياه والكلأ. لذا قام الغساسنة بحفر الابار والسكن قرب الينابيع للحفاظ على الامان المائي للمملكة.

عاش الغساسنة حياة متذبذبة ما بين الحضارة والبداوة، حيث مارسوا التجارة والرعي وتربية الماشية، بإضافة إلى قيامهم بالأعمال الزراعة؛ وبذلك يعتبر الحليب ومشتقاته من الأصناف الأساسية التي تزخر بها المائدة الغسانية. وكما ذكرنا سابقا اهتم الغساسنة الجمال بشكل خاص، ولهذا نجد إن حليب الناقة من اهم أنواع الحليب في المملكة.

بدى الغساسنة كانت الخمر تسمى بابنة العنب، وكان يوزع الاحتفالات والمجالس والبيوت؛ وجاء ذكر الخمر في كثير من الأبيات الشعرية؛ ومنهم النابغة الذبياني، حسان بن ثابت، النابغة الجعدي وغيرهم الكثير. كانت وما زالت أراضي الحوران والبلقاء مركزا لزراعة كروم العنب، وفيها صنع أجود أنواع الخمور ومن أكثر المدن التي اشتهرت فيها صناعة الخمر هي كابيتولياس (بيت رأس) ومدينة غزة.

ومن خلال تحليل الكربون المشع الموجود في البقايا القطع الفخارية التي وجدت في منطقة بيت راس؛ انها واحدة من اهم المدن التي تصنع الخمر. بالإضافة الى مدينة مكد في شمال الاردن ومدينة جراسا التي يرجح الخبراء انها انتجت كميات كبيرة من الخمر في العصور الرومانية. يعد الخمر مشروب مقدس عند الرومان ونستدل على ذلك بوجود معبد خاص باله الخمر ديونيسيوس.

4- الطب والعلوم:

لم يقتصر المشهد العلمي عند الغساسنة على الأطباء الذين ينذرون أنفسهم وحياتهم لخدمة العلم والفقراء. لقد كان الغساسنة على صراع دائم مع المناذرة ولم ينعموا بالسلم لمدة طويلة؛ لهذا فقد كانوا بمواجهة ما تخلفه الحرب من جروح وأمراض. إضافة لذلك، فقد هاجمهم وباء الطاعون الدملي الذي أودى بحياة أكثر من 25–50 مليون شخص في عهد الإمبراطور جوستنيان الأول حتى سمي الطاعون بطاعون القرن السادس.

صنع الغساسنة مضادات سمية وعلاجات كثيرة لمختلف الجروح والإصابات. ذكر الشاعر حسان بن ثابت في شعره "البياطرة" أي أطباء الحيوانات ويظهر أن الغساسنة برعوا في علاج الأحصنة ومداواتها.

ظهرت المستشفيات الرومانية خلال القرن السادس الميلادي، في حين لم تكن المملكة الغسانية قد تطور في مجال العلوم الطبية، لكنها سرعان ما واكبت التطور الطبي وربطته بالدين، حيث مارس الأطباء عملهم في علاج المرضى بالمجان طلبا في التقرب من الله؛ ومن اهم أطباء تلك الفترة القديسان قومان ودميان.

ورغم الصراع الدائر في المملكة الغسانية حول أهمية الطب، كسبيل لعلاج الامراض، كان الكثيرون يعتقدون ان العلاج يعتمد على قومة ايمان الفرد فقط. وتذكر بعض المصادر ان الغساسنة حرمت العلوم والطب بعد فشل الطب في علاج الحارث الغساني من مرض الطاعون[1].

لم تكن المرأة بمعزل عن العلم، ويظهر ذلك جليا في ابيات شعرية نظمها في حسان تكريما للطبيبات.

ثالثاً: الحياة الدينية

بدات الإرسالات التبشيرية لنشر الديانة الميسحية في مطلع القرن الأول الميلادي، في كثير من المناطق في بلاد الشام والعالم باسره؛ ورغم ما تعرضت له هذه الديانة من عقبات بسبب الأباطرة الرومانيين الذين يعتنقون الديانة الوثنية.

انتهت تلك الفترة من الاضطهاد بعد اعتناق الإمبراطور قسطنطين لديانة المسيحية؛ حيث جعل من هذه الديانة الدين الرسمي للإمبراطورية، وقام بنقل العاصمة الى مدينة بيزنطة، يبدا عهد جديد. ورغم تعدد المذاهب الدينية لديانة المسيحية فيما يلي سنلقي الضوء على المذاهب الدينية التي ارتبطت بالمملكة الغسانية بشكل او باخر.

حيث كان لتلك المذاهب دور في العلاقات ما بين الدول المتجاورة في المنطقة، وقد أدت في بعض الأحيان الاختلافات في المذاهب الى نشوب الحروب المدمرة.

- **المذهب الأول: النسطورية:**

---

(1) Shahid, I. **Byzantine and Arabs in the sixth century**, Ibid, pp 100.

النسطورية مذهب يحمل فكر ديني محدد، حيث يعتقد إن المسيح فقد صفاته الإلهية التي حصل عليها عند تعميده، يعد صلبه، وان امه هي ليست بأم لإله، لذا اطلق عليها أم المسيح، وقد حمل البطريرك نسطور قس كنيسة أنطاكية في عام 421 م الحامي لهذا المذهب الديني. ولكن في عام 431م قام مجمع أفسس بعزل البطريرك من منصبه، وذلك في خطوة لمحاربة النسطورية، وتم بالإضافة الى ذلك تم اضطهاد اتباع هذا المذهب/ مما أدى الى هربهم الى العراق. وقد اعتنقت مملكة الحيرة ومملكة المناذرة هذا المذهب ودافعت عنه ضد الغساسنة بمساعدة عليفتهم الإمبراطورية الساسانية.

- **المذهب الثاني: المونوفيزية**

المونوفيزية مذهب ديني اعتنقه آل غسان وحافظوا عليه بشدة؛ فهذا المذهب مبني على حقيقة إن المسيح ذو طبيعة الاهية فقط لكن شابتها بعض من الطباع البشرية. ظلت القبائل البدوية ف بالبادية الشرقية تدافع هن هذا المذهب، متخذة من الملكة البدوية ماوية مثالا لها. حيث قادت هذه الملكة العديد من الحروب ضد الإمبراطورية البيزنطينية في بلاد الشام ومصر. مما دفع الإمبراطورية البيزنطينية من عقد صلح مع المملكة البدوية، والإذعان لشرطها بتولي القس يعقوب البرادعي رئاسة الكنيسة في البادية الشرقية.

شهدت المؤلفات الغسانية على قوة وشراتك المعارك التي خاضتها القبائل البدوية بقيادة الملكة ماوية ضد الإمبراطورية البيزنطينية، في سبيل الحفاظ على المذهب المونوفيزي.

- **المذهب الثالث: الأرثوذكسية الميافيزية**

يعد المذهب الميافيزي هو المذهب الثالث الذي اعتنقته الإمبراطورية البيزنطينية. بني هذا المذهب على ان للمسيح جمع طبيعتين في شخصه الأولى بشرية والأخرى إلهية.

اخذت الصراعات مابين الغساسنة والمناذرة من جهة والبيزنطيين من جةه اخى طابعا دينيا في كثير من الأحيان، وغلب عليها الطابع السياسي او الاقتصادي في أحيان أخرى. فقد كان شعب الغساسنة متعصب لمذهبه الديني والذي كان سببا في وحدة جيشه وقوته.

وفي ما يلي استعراض لاهم التطورات للعلاقة الدينية التي كانت تربط المملكة الغسانية مع حليفتها الإمبراطورية البيزنطينية. في حين ظلت العلاقات بين المملكة الغسانية وجارتها مملكة المناذرة يسودها التوتر والحروب على مدى ستة قرون من الزمان.

أهم الأحداث الدينية في المملكة الغسانية:

لم تحدد لنا المصادر التاريخية تاريخ معين لاعتناق الغساسنة للمسيحية، ولكن أظهرت بعض المصادر ارتباط الغساسنة باسم القديس يعقوب البرادعي؛ حيث أطلق عليهم اليعقوبيين أو اليعاقبة، في بعض المصادر، ويرجح ان الغساسنة اعتنقوا مذهب المونوفيزي على يد هذا القديس، والذي عينته الملكة البدوية ماوية رئيسا للكنيسة في مملكتها مع بداية القرن الثالث، لذا فبداية القرن الثالث الميلادي هي بداية الخط الزمني الديني للأحداث المرتبطة بالمسيحية في مملكة الغساسنة.

ومن خلال مراجعة الأحداث الدينية التي مر بها الغساسنة، سيقوم الباحث بتوضيح اهم تلك الأحداث، من خلال تتبع علاقة أمراء الغساسنة والأباطرة البيزنطيين؛ وذلك بالاعتماد على كتاب للأستاذ عرفان شهيد المعنون بالعرب البيزنطيين في القرن السادس الميلادي[1].

*** أناستاسيوس الأول 491-518 Anastasius I**

يعد الإمبراطور أناستاسيوس صاحب الحقبة الذهبية، في الدولة البيزنطينية؛ فعلى الرغم من اعتناقه المذهب الميافيزي إلا أنه كان على اطلاع على المذهب المونوفيزي الغساني. وذلك أقام علاقات سياسية ودينه مع الغساسنة.

في هذه الفترة هناك شخصيتان لعبتا دورا دينيا وسياسيا مهم هما القديس فيلوكسينوس المنبجي وساويرس الأنطاكي؛ وكان كلاهما يعتنقان المذهب المونوفيزي، وكانا من أكثر المدافعين عنه في كل المحافل. وكلاهما كانا مدافعين غيورين عن المونوفيزية. اشتهر القديس المنبجي لروحانياته؛ وبدعوته الدائمة لمذهبه فأرسل العديد من دعوات الى ملوك المناذرة الذين كانوا على دين النسطورية؛ وذلك بهدف نشر الدين المسيحية بشكل عام ومذهب المونوفيزية بشكل خاص. وذلك من حرصه على حقن دماء العرب من الحروب الدينية.

---

[1] Shahid, I. **Byzantine and Arabs in the sixth century**, Ibid, pp

بالرغم من كل ما فعله القديس المنبجي من محاولات لدعوة المناذرة لاعتناق المذهب المونوفيزي، الا انه لم يستطع لضمه الى هذا الدين. في حين اعتنق أهلي كل من نجران، وحمير، وحضرموت، وعدد من القرى والمدن في فلسطين إثر دعوات القديس المنجي لهم. كتب هذا القديس العديد من المؤلفات، كما قام بترجمة الكتاب المقدس من اللغة اليونانية الى اللغة السريانية. فكل تلك الأعمال التي قام بها جعلت شخصية مميزة وذات مكانة رفيعة ما بين اهلى المملكة الغسانية، فقد كان أيضا المدافع الأول عن مذهبهم في البلاط الإمبراطوري البيزنطي.

في حين قام الأنطاكي بطريريك الكنيسة في أنطاكية مع المنبجي، باستمالة الإمبراطور أناستاسيوس إلى مذهب المونوفيزية، خلال عشرينيات القرن السادس الميلادي. ولذلك سادت المنطقة فترة من السلام الديني، حيث عقدت الكثير من المجامع الدينية لتوضح الفرق بين المذهب المونوفيزية، والمذهب النسطوري، ودفاعا عن هذا المذهب وحفاظا عليه سجل هذه الفترة من عصر المملكة الغسانة والدولة البيزنطينية ارتفاع في عدد المؤلفات الدينية، وزاد عدد الحملات التبشيرية في أراضي جنوب بلاد الشام، بالرغم من الحملة العسكرية التي قام بها الحارث الغساني ضد فتنه اليهود السامرة.

وبعد استلام الإمبراطور جوستين الأول مقاليد الحكم، مارس سياسية الاضطهاد والعنف مع أصحاب المذاهب المختلفة، فقام بطرد العديد من القساوسة ومنهم المنبجي والانطاكي، وعذب العديد من القديسين والقساوسة، فقد حبس القديس المنبجي في منزل بعد نفيه، وامر بإضرام النار في منزله، فمات مختنقا.

بينما لجئ الأنطاكي الى مصر، وبقي فيها حتى توفي. وبذلك تنتهي حقبة السلام والوئام ما بين الطوائف الدينية؛ وقدم الغساسنة الكثير من الشهداء دفاعا وحفاظا على عقيدتهم، أمام الإمبراطور الجديد.

*** جوستين الأول 518-527 Justin I**

عرف عهد جوستين الأول بعصر الاضطهاد الديني، فقد عاقب وعذب كل من خالف المذهب الديني الذي يؤمن به، كما قام بنفي وطرد 12 قسا. وقد كان هذه الإمبراطور على عداء مع المملكة الغسانية بسبب اعتناقها للمذهب المونوفيزي؛ فعتراضا على ما قام به من اضطهاد لمعتنقين هذا المذهب؛ انسحب الغساسنة من الجبهة الحربية البيزنطينية ضد الفرس.

وظل الغساسنة يدافعون عن مذهبهم رغم كل الأعمال التي قام بها الإمبراطور جوستتين الأول، والذي قام بنفي أسقف كنيسة إفاريا، وتذكر المصادر الكنسية إن أسقف تلك الكنيسة كان الأسقف الغساني يوحنا في عام 519م.

*** جستنيان 527-569 Justinian**

سادت الرفاهية والرخاء الديني في المملكة الغسانية أثناء فترة حكم الإمبراطور جستنيان، وذلك بفضل العلاقات الطيبة بين الغساسنة والإمبراطورة ثيودورا بالإضافة إلى زوجة الإمبراطور جستنيان الأول.

في حين ساد التوتر والثورات الداخلية، والحروب الخارجية مع الفرس في ذات الفترة من حكم جستنيان، ويعود ذلك لسياسات التي كانت متبعة في الدولة في عهد عمه. إلا أن تلك الحالة من توتر ما لبثت طويلا حتى تغيرت بفضل الإصلاحات الاقتصادية والسياسية التي قام بها الإمبراطور الروماني، كما قام بإخماد الثورات الداخلية، بالإضافة إلى الهدنة التي وقعها مع الفرس.

*** وثيودورا**

وثيودورا أو إمبراطورة المحبة والخير والعطف، كما عرف عنها، فهي إمبراطورة بيزنطية اعتنقت المذهب المونوفيزي، ودافعت عنه في كل المحافل الدينية، ويعود لها الفضل بإعادة بناء العديد من الكنائس، واستطاعت إعادة عدد من القساوسة الذي تم نفيهم بالسابق؛ كما إنها كانت من خلص القديس ساويريس الأنطاكي من تعذيب جوستين الأول. ورغم انشغال الإمبراطورة في دراسة المذهب الدين المونوفيزي، إلا أنها أقامت علاقة وتحالف ديني سياسي مع الحارث الغساني، وقاد هذا التحالف حب الحاكمين للسلام ورغبة في الدفاع عن مذهبهما المشترك. رغم كونها إمبراطورة بيزنطية إلا أنها ذكرت كثيرا في كتب التاريخ الكنسية كملهمة ومساعدة للغساسنة ومدافعة عن مذهبهم الديني. انشغلت ثيودورا بدراسة الدين المسيحي ولم تكن مقتنعة بالميافزية بل اعتنقت المونوفيزية. خففت الإمبراطورة كثيرا من حدة السياسات الدينية البيزنطينية. عرفت بالإمبراطورة مُحبّة الخير والعطف، وكانت تعطي اللجوء والأمان لمن يتعرض للاضطهاد الديني. أعادت بناء الكنائس التي هدمت وأرجعت بعض القساوسة الذين نفوا.

*** جوستين الثاني 565-578 Justin II**

امتاز عهد الإمبراطور جوستين الثاني بإصدار العديد من القوانين تنظيمية في المجالين الديني والسياسي. كما تزامنت مع استلام الملك الحارث بن جبلة الغساني للحكم؛ شاب هذه الفترة العديد من المواقف الدينية التي أدت الى اشتعال صراع ديني ما بين الحليفين. وبخاصة بعد وفاة الملك الغساني.

فقد شغل الحارث بن جبلة منصب أسقف الكنيسة الغسانية الى جانب كونه الملك الحاكم للمملكة الغسانية. حيث عزز انتشار المذهب المونوفيزي، وإنشاءٍ علاقات دينية مع عدد من الكنائس في المنطقة ومنها: كنيسة أنطاكية وكنيسة القسطنطينية؛ وذلك رغم اختلاف مذهب الكنائس مع المذهب الغساني. وقد اثبت الحارث بن جبلة كفاءته في الحروب والصراعات الدينية التي خاضها ضد المناذرة خلال تلك الحقبة الزمنية.

على الصعيد السياسي، أنشاء الحارث علاقات قوية مع الحارث جوستين الثاني وذلك لاتباعه المذهب مونوفيزي، كما الغساسنة، ومن خلاله وثق الحارث علاقته بالامبراطورة صوفيا زوجة جوستين الثاني؛ التي اعتنقت المذهب المونوفيزي أيضا. ونتيجة لتلك العلاقات الطيبة والجهود التي قدمها الحارث في سبيل الحفاظ على الوئام بين الكنائس على اختلاف مذاهبها، أطلق عليه لقب الفيلارخ او البطريق؛ وقد تلازمت هذه الألقاب مع اسم الحارث في كثير من المصادر التاريخية، فنودي بـ "البطريق الأمجد الملك الحارث" أو "قائد مسيحي الحواضر البطريق الحارث".

تعتبر فترة حكم الحارث الغساني وجوستين الثاني، فترة سلام ووئام ديني بين المذاهب المسيحية المختلفة. وفي تلك الفترة تم اعادة تعين أساقفة الكنائس الغسانية المونوفيزية؛ الا ان هذه الفترة التي وصفت بالذهبية، انتهت بمقتل الحارث في احدى معاركه مع المناذرة، ليتقلد الحكم ابنه المنذر عام 569م. مما أدى إلى تفخم الوضع بالإضافة الى عزل إمبراطور جوستين الثاني بسبب تشخيصه بالجنون في 574م.

*** تيبريوس 578–582 Tiberius**

اثر تقلد تيبريوس مقاليد عرشه في عام 578، ظهر أسلوب جديد مرافق للامبراطور الجديد للحد من المشاكل الدينية التي تضاعفت وتيرتها خلال عهد الإمبراطور جوستين. وقد كان نهج الإمبراطور تيبريوس يتماشى مع نهج الحاكم الغساني المنذر الغساني المبنى على السلام والوئام ما بين المذاهب المسيحية المختلفة. وتكريما للمنذر الغساني بعد الانتصار الذي حققه في مواجهة

الفرس؛ دعاه الإمبراطور تيبريوس الى العاصمة البيزنطينية القسطنطينية، واستقبله استقبالا وصفه كثير من المؤرخين بدقة لعظمته وأهميته.

وبرغم من تلك العلاقات التي أنشأها الإمبراطور الروماني مع الحاكم الغساني وذلك لنشر السلام بالمنطقة، الا ان تلك العلاقة ضعفت نتيجة ضعف الثقة ما بين الحليفين. حيث يعزي الباحثين ان اتهام البيزنطيين للغساسنة في تدمير جسر على نهر الفرات قبل معركة حاسمة ضد عدوهم اللدود الفرس. ولم يطل الأمر حتة طلب البيزنطيين عقد الصلح عند قبر القديس جرجيوس في الرصافة وذلك لإثبات النوايا الحسنة. في حين حاول المناذر إثبات دعمهم للبيزنطيين قاموا بشن هجوم على المناذر، وذلك اثار غضب البيزنطيين الذين اعتبروا ذلك عصيان لأوامر الكنية البيزنطينية.

اثار القبض على المنذر الغساني ونفيه الى جزيلة صقيلة، على وحدة الغساسنة الدينية؛ فقد اقسم اتباع المذهب الديني الأساسي للغساسنة (المونوفيزي) الى قسمين: الأول تبعة الكنيسة في الإسكندرية، والقسم الثاني اتبع القديس بطرس او ما سمي لاحقا البطرسيون. وبهذا تزعزعت وحدة الجيش الغساني الذي كان يعتمد على وحدة الدين في الجمع بين أفراده.

وفي عام 581م حاول مجمع القسطنطينية من خلال اجتماع حضره المنذر الغساني الى إعادة ضبط الفوضى العارمة المتعلق في الدين، ومحاربة كل البدع الدينية التي ظهرت في المنطقة، بالإضافة إلى إعادة تصليح العلاقات بين المذاهب الدينية، إلا أن ذلك الاجتماع لم ينجز ما كان مطلوب منه على الشكل الأكمل.

*** أباطرة آخرون**

ظلت السيطرة الدينية في المنطقة مترنحة ما بين الغساسنة والإمبراطورية البيزنطينية، فلفترة من زمن تسيطر القوة الدينية الغسانية فتقوم بتنظيم النظام الكنسي بما يناسب مذهبها، وفي فترة أخرى يأخذ الأباطرة الرومان زمام الأمور، بذلك سادة المنطقة فترة إطراب ديني في عهد الإمبراطور موريس والإمبراطور فوكاس (602-610م). وذلك في محاولة لتغير المذهب الديني الذي يتبعه الغساسنة الى المذهب المتبع في الكنيسة البيزنطينية.

ومع اشتعال الحرب في عهد المنذر بن الحارث، وذلك بعد وفاة والده الحارث؛ تعرض الشعب الغساني لضف والتفرقة؛ وبسب الطبيعة البدوية التي عاشها الغساسنة والتي لا ترضى

بحاكم لا يعطي وحدة شعبه أولوية قسوة. وذلك تزمان مع الفتوحات الإسلامية التي وصلت إلى جنوب بلاد الشام؛ في نهاية القرن السادس وإبان معركة اليرموك.

وقد انتهج الجيش الإسلامي أسلوب الصلح والاتفاقيات مع المدن المفتوحة، فتعطي الأمان للبلدات والقبائل التي تعتنق المسيحية، وتشملها في حمايتها.

الفصل الرابع
المظاهر العمرانية للمملكة الغسانية

أولا: العواصم السياسية

ثانيا: الأديرة الغسانية

ثالثاً: الكنائس

رابعاً: كهوف الرهبان

الفصل الرابع
المظاهر المعمارية للمملكة الغساسنة

عرف عن الغساسنة التفنن في المعمار، فلازالت البقايا المعمارية شهدة على اثارهم وتطورهم في هذا المجال. حيث قاموا بالمزج بين الطرز البيزنطينية مع الطرز الفارسية في البناء. وغالبا ما تركز اهتمامهم بناء الكنائس والأديرة والمجامع الرهبانية. التي تمتاز بالفسيفساء، ونرى ذلك جليا في الكنائس خاصة.

وقد كان للأديرة التي انتشرت بأماكن متعدد في جنوب بلاد الشام، والتي جاء ذكرها في وثيقة رؤساء الأديرة العرب 570 م، دور مميز في التطور التجاري والزراعة في المنطقة، فقد ذكر بعض الباحثين في وصف تلك الأديرة أنها تميزت بالمساحات الواسعة، والطرز العمرانية. كما ان الوثيقة تعتبر كنز غني بالمعلومات، فمنها استطاع الباحثين التعرف على طبغرافية المنطقة، كما أظهرت أسماء العديد من الاديرة والكنائس التي بنية على أراضي المملكة الغسانية.

وهذه الوثيقة ما هي الا نص ديني ويوضح اهم تعاليم المذهب الدين التي اعتنقه الغساسنة في تلك الفترة. حيث امن الغساسنة بالمذهب المونوفيزي أي الإيمان بالطبيعة الواحدة، وقد حافظوا على مذهبهم رغم اختلافه مع مذهب حليفهم الاستراتيجي الروماني. وقد جاء الفضل للملك الغساني الحارث بن الجبلة للحفاظ على هذه المذهب من الضياع. كما تدلنا الوثيقة على اللغات التي اتقنها الغساسنة الى جانب العربية، فقد كتبت هذه الوثيقة باللغة السريانية بالإضافة الى انها ترجمت في نفس الفترة الى اللغة اللاتينية[1].

واظهرت عدد من المسوحات الاثرية في جنوب بلاد الشام وفي شمال الأردن بشكل خاص عدد كبير من كهوف الرهبان التي تؤرخ للفترة بين القرن السادس والسابع ميلاديين؛ ويعتقد المؤرخين وعلماء الاثار ان تلك الكهوف، والمواقع الاثرية التي حولها استعملها الغساسنة خلال فترة تواجدهم في هذه المنطقة.

---

[1] خلف، تيسير، "كنيسة العرب المنسية – أديرة الغساسنة في دمشق والجولان وحوران ولبنان"، التكوين لطباعة والنشر والتوزيع، 2008، ص: 50.

وفيما يلي دراسة لاهم بقايا الاثرية التي تظهر عظم المملكة الغسانية في جنوب بلاد الشام؛ ومن خلال هذه البقايا استطعنا التعرف على الأسلوب المعماري المميز للغساسنة، خلال هذه الدراسة سيسلط الباحث الضوء على العواصم السياسية للمملكة الغسانية: الجابية، وجلق، والبلقاء؛ والعاصمة الدينية: بصرى، واهم الاديرة الغسانية، واهم الكنائس، وعدد من كهوف الرهبان.

أولا: العواصم السياسية:

1- الجابية:

تقع الجابية على بعد حوالي 3كم شمال غرب مدينة نوى، وتمتاز بمياهها الوفيرة وموقعها المتميز، وصفها الباحث الألماني "تولدكه" ابانها عاصمة الغساسنة ومركز دولتهم. قول السيد "أنور الدبيس"[1] ان أهمية المدينة ما قبل الفتح الإسلامي، جاءت من كونها العاصمة الإدارية والسياسية للمملكة الغسانية. ويشير ان الملك الغساني الحارث بن جبلة قد سكن هذه المدينة وهو آخر اخر من اعتلى عرش المملكة الغسانية. وقد زار الخليفة عمر بن الخطاب المدينة أثناء معركة اليرموك، والقى فيها خطبته المشهورة. وقد اثر الزحف العمراني والزراعي على المدينة فلم يبقى من بقايها الغسانية الكثير.

ورد اسم الجابية في وثيقة رؤساء الأديرة العرب باسم "جابيثا"، أي "المختارة" أو "المجتارة"، وهو مصدر يختلف عن التفسير الذي اعتمده اللغويون والجغرافيون العرب الذين أرجعوا الاسم إلى جباية الماء أو مورد الماء، وفيها عقد مؤتمر الصلح الذي عقده بطاركة الكنيسة الأرثوذكسية المونوفيسية "السريان والأقباط" في عهد "بطرس ودوميان"، في كنيسة القديس "سرجيس"، وقد ذكرها "ابن خرداذبة" في كتابه "المسالك والمالك"[2]، كما ذكرها "المسعودي" في "مروج الذهب[3]".

سميت الجابية على اسم الحوض لكثرة مياهها، والجابية جماعة القوم واجتماع الناس بها، وكثرتهم لكون أرضها خصبة وخيرة، وفي معجم البلدان لياقوت الحموي ورد أن "الجابية" تقع بالقرب

---

(1) من سكان مدينة "جاسم" المجاورة لموقع " متحدثا ل معن الحلقي الجمعة 14 كانون الثاني 2011.
https://web.archive.org/web/20180209063923/http://www.esyria.sy/edaraa/index.php?p=stories&category=ruins&filename=201101141250011

(2) "ابن خرداذبة" في كتابه "المسالك والمالك

(3) "المسعودي" في "مروج الذهب.

من "نوى" وهي من أرضها، يقع جانبها تل يسمى باسمها، فيها حيات صغار طولها نحو الشبر[1]، وباب "الجابية" بدمشق منسوب لها، كما سميت "جابية الملوك"، وعندما وجه "أبو بكر الصديق" الجيوش إلى الشام بقيادة "أبي عبيدة الجراح" عرفت "بجابية الجولان"، وقد وصف واديها الشهير "بالرقاد"، وهو فرع يصب في نهر اليرموك.

أقام الكثير من ملوك الغساسنة فيها، وابتنوا عددا من البيوت الفخمة، ويقان ان فيها ودفن المالك الغساني النعمان، وكانت عاصمة للدولة الغساسنة، وقاعدتهم الحربية المنظمة، ولعبت دوراً كبيراً في تاريخهم، وفي عهد الفتوحات الإسلامية كانت "الجابية" هدفاً للمسلمين أثناء فتوحاتهم في بلاد الشام نظراً لأهميتها من الناحيتين العسكرية والسياسية، وفي العصر الأموي غدت مسكناً ومقراً للقادة الأمويين، فتركوا الكثير من آثارهم شواهد على تقدمهم في المجالات الاقتصادية والتنظيمية والعمرانية كافة.

ومن أهم تلك البقايا؛ قصر "الجابية" الذي بناه الخليفة "مروان بن عبد الملك"، وأقام فترات من حياته فيه، وما تزال بقايا آثار القصر باقية في أعلى قمة بتل "الجابية"، وأمام القصر بركة ماء وحوله الأشجار، وكان يشرف على "الجيدور، ومناطق من "حوران"، يرتفع عن سطح الأرض المحيطة به حوالي 80م.

وفيما يخص سماتها أضاف "شرف": "تحيط بها القرى والمدن والمروج الخضراء، غلالها وفيرة وثروتها الاقتصادية كبيرة جداً، وصفت بأنها ذات مراعي كثيرة وكبيرة، ومنطقة تلال وأودية ملأى بحقول القمح والشعير وأشجار البلوط والزيتون والجميز وغابات الاس، وتكثر فيها مجاري الأنهار والسيول، وهي أرض العيون والتلال المكسوة بالخضرة، تغرد بها الطيور وآهلة السكان".

2- جلق:

جلق الاسم القديم لمدينة دمشق؛ حيث يقول ياقوت الحموي في العصر الايوبي عنها: جِلّقُ: بكسرتين وتشديد اللام وقاف؛ كذا ضبطه الأزهري والجوهري، وهي لفظة أعجمية، ومن عرّبها قال:

---

[1] ياقوت الحموي

هو من جَلَّقَ رأسه إذا حلَقه: وهو اسم لكورة الغوطة كلها، وقيل بل هي دمشق نفسها، وقيل جِلِّق موضع بقرية من قرى دمشق، وقد ذكر جلق حسان ثابت في قصيدة مدح بها أحد الغساسنة فقال:

لله درُّ عصـــــابة نــــادمتُهم يومـــــاً بجلِّــــــقَ فــــــي الزمـــــان الأوَّلِ

كما قال:

انظُـــر خَليلـــي بِـــبَطنِ جِلِّـــقَ هَـــل تُـــؤنِسُ دونَ البَلقـــاءِ مِـــن أَحَـــدِ

جِمـــالَ شَـــعثاءَ قَـــد هَـــبَطنَ مِـــنَ المَحـــبِسِ بَـــينَ الكُثبـــانِ فَالسَـــنَدِ

يَحمِلـــنَ حُـــوّاً حـــورَ المَـــدامِعِ فـــي الـــرَيطِ وَبـــيضَ الوُجـــوهِ كَـــالبَرَدِ

مِـــن دونِ بُصـــرى وَخَلفَهـــا جَبَـــلُ الـــثَلجِ عَلَيـــهِ السَـــحابُ كَالقِـــدَدِ

إِنّـــــي وَرَبِّ المُخَيِّســـــاتِ وَمـــــا يَقطَعـــنَ مِـــن كُـــلِّ سَـــربَخٍ جَـــدَدِ

وَالبُـــــدنِ إِذ قُرِّبَـــــت لِمَنحَرِهـــــا حِلفَـــــةَ بَـــــرِّ اليَمـــــينِ مُجتَهِـــــدِ

مـــا حُلـــتُ عَـــن خَيـــرِ مـــا عَهِـــدتِ وَلا أَحبَبـــتُ حُبّـــي إِيّـــاكِ مِـــن أَحَـــدِ

تَقـــولُ شَـــعثاءُ لَـــو تُفيـــقُ مِـــنَ الكَـــأسِ لَأُلفيـــتَ مُثـــرِيَ العَـــدَدِ

أَشـــهى حَـــديثَ النَـــدمانِ فـــي فَلَـــقِ الصُـــبحِ وَصَـــوتَ المُســـامِرِ الغَـــرِدِ

يَـــأبى لِـــيَ السَـــيفُ وَاللِســـانُ وَقَـــومٌ لَـــم يُضـــاموا كَلِبـــدَةِ الأَسَـــدِ

لا أَخـــدِشُ الخَـــدشَ بِالنَـــديمِ وَلا يَخشـــى جَليســـي إِذا غَضِـــبتُ يَـــدي

لا نَـــديمي العِـــضُّ البَخيـــلُ وَلا يَخـــافُ جـــاري مـــا عِشـــتُ مِـــن وَبَـــدِ

كما يقول النابغة الذبياني:

لـــئِن كـــانَ للقَبـــرَينِ: قبـــرٍ بجِلّـــقٍ، وقبـــرٍ بصَـــيداء، الـــذي عنـــدَ حـــارِبِ

وللحـــارِثِ الجَفْنـــيّ، ســـيّدِ قومِـــهِ، لَيَلْتَمِسَـــنْ بـــالجَيْشِ دارَ المُحـــارِبِ

ربما تكون قصيدة النابغة مفتاحاً لفهم هذا المعنى وعلاقته بالجيش. ولدينا وثيقة رؤساء الاديرة العرب التي تعدد أكثر من مائة وخمسين ديرا من أديرة الغساسنة في جنوب سوريا، وقد وقع باليونانية على هذه الوثيقة السريانية العائدة للعام 570م القس زانودرا رئيس دير جلشا أو جلسا. وجلسا المذكورة في الوثيقة هي بلدة قرب داريا وكفر سوسيا وفيها دير سرياني من اديرة مملكة الغساسنة.

لقد توصل البروفيسور عرفان شهيد إلى أن جلسا الواردة في الوثيقة السريانية هي نفسها جلق. هي مكان او معسكر لتحشيد القوات. وفعلا، فإن قواعد التعريب القديمة تقلب السين أو الشين بعد اللام قافاً وكمثال على ذلك باب جينيس الذي أصبح باب الجينيق، أحد ابواب دمشق القديمة، وسيليسيا التي أصبحت قيليقيا، وغاليسيا في شبه الجزيرة الايبرية التي أصبحت جلّيقية. وسيسيليا التي أصبحت صقلية، وغير ذلك الكثير.

وجلشا بالسريانية فعل يتعلق بتحشيد القوات أو تجييش منطقة ما. وهي من المواقع المهمة جداً في تاريخ الغساسنة ومن المستحيل أن لا تأتي الوثيقة على ذكرها، لمكانتها المتميزة عندهم. ولعل الخلط بين جلق ودمشق ناتج عن قرب جلق من دمشق، ولكن لدينا عدة مؤشرات تجعلنا نحصر جلق في المنطقة الممتدة من الربوة إلى المرجة. فهذه المنطقة يمر بها نهر بردى وكانت في الفترة الرومانية مكاناً لتحشيد الجيوش. فيها اثار لقصور قديمة منها ما هو معروف وما هو غير معروف، فالمعروف هو القصر الابلق الذي بناه الظاهر بيبرس على أنقاض قصر قديم، وموقعه الان في التكية السليمانية التي استخدم فيها السلطان سليمان القانوني حجارة قصر بيبرس لبناء تكيته.

بالإضافة إلى ان المنطقة المجاورة للتكية كانت دائما مكاناً لتحشيد واستراحة الجيوش وتسمى المرج الاخضر لوفرة عشبها وقربها من الماء ووقوعها خارج سور المدينة . وحتى الجيش العثماني بنى اكبر ثكنة عسكرية خارج تركيا في هذه المنطقة وهي الآن جامعة دمشق.

جلق إذن ليست كما قال المستشرق رينيه دوسو هي الكسوة. لأن الكسوة مذكورة في نفس الوثيقة التي سبق ان اشرنا إليها بصيغة كسويثا. وهي ليست مدينة دمشق بل هي ضاحية من ضواحيها الملاصقة للسور. الصورة تعود لأواخر القرن التايع عشر لبردى وهو يمر بالقرب من التكية السليمانية في جلق القديمة.

ثانياً: الأديرة الغسانية

لقد شمت وثيقة رؤساء الأديرة العرب، أسماء عدد من الكنائس والأديرة؛ على الرغم اختلاف رسم هذه الأسماء مع ترجمت الوثيقة الى اللاتينية من السريانية، ثم ترجمت الى العربية من اللاتينية. ولكن لا زلنا نجد كثير من القرى لازلت تحمل أسماء هذه الأماكن منذ عهد الغساسنة وحتى يومنا هذا. وفيما يلي عدد من الاديرة التي جاء ذكر أسماء رؤسائها في الوثيقة:

1- طورا حرثا (دير جبل الحارث)

سميت هذه المنطقة بهذا الاسما تكريما للحارث بن جبلة احدى اهم ملوك المملكة الغسانية كما سبق ذكر إنجازاته؛ اما كلمة طور حرثا فهي كلمة سريانية وتعني جبل الحارث[1]. فمدينة حرثا اليوم تقع في الشمال الأقصى لمدينة إربد (الأردن)، ويعتقد الباحثين ان أراضي هذه القرية قد امتدت في عهد الغساسنة حتى وصلت شمالي سهول حوران. وتشتمل أراضي هذه القرية مدينة قويلبة او أبيلا كما عرفت في العصر الروماني، وهي واحدة من اهم مدن التابعة لحلف الديكابولس. ولكن لم يتم الكشف بعد عن كامل بقايا هذه المدينة العظيمة.

2- حريمايا (حوش حريمة – دير حريمايا)

حريمايا او الدير المقدس كما يشير الباحثون لمعنى الكلمة، وكان يرأسها القس جرجس فهو الذي وقع على الوثيقة باسم هذا الدير. وتقع قرية حريما على بعد 10كم الى الشمال من محافظة إربد وتتبع إداريا إلى لواء بني كنانة.

---

(1) خلف، تيسير، "كنيسة العرب المنسية – أديرة الغساسنة في دمشق والجولان وحوران ولبنان"، التكوين لطباعة والنشر والتوزيع، 2008، ص: 50.



الشكل 15: سهول حريمايا

3- عقربا (دير مار اسطفانوس – دير الأباتي تيطس)

تحتضن قرية عقربا بين حنايها اثنين من الاديرة التي جاء ذكرها في وثيقة رؤساء الاديرة العرب؛ وهما: دير مار اسطفانوس ودير الأباتي تيطس، ووجودهما يدل على أهمية المنطقة في تلك الفترة[1]. وتقع هذه القرية حاليا ضمن قرى الكفارات في مدينة إربد.



الشكل 16: اطلالة على نهر اليرموك من قرية عقربا

[1] خلف، تيسير، "كنيسة العرب المنسية – أديرة الغساسنة في دمشق والجولان وحوران ولبنان"، التكوين لطباعة والنشر والتوزيع، 2008، ص: 50.

4- حوارة (دير برج حوارة):

ومن قرية حوارة التي تقع على بعد 4كم شرق مدينة اربد، فقد وقع رئيس دير برج حوارة القس مار بولس على وثيقة رؤساء الاديرة العرب باسم الدير.

5- جديراثا (دير جديراثا):

ومن احدى اهم مدن الديكابولس التي تقف بقايها شاهدة على عظمتها حتى الان، أم قيس او كما كانت تعرف به في العصر الروماني مدينة جدارا، فقد وقع القس يوحنا وثيقة رؤساء الاديرة العرب عن دير جديرثا بالنيابة عن رئيسها القس مار إيليا[1].

6- كفر جوزا (دير كفر جوزا):

لم يعثر الباحثين عن قرية تحمل ذات الاسم الموجود في وثيقة رؤساء الكنائس العرب، ولكنهم يعتقدون ان هذا الاسم تغير مع الترجمة وأيضا مع اختلاف العصور حتى أصبحت القرية تسمى كفر جايز؛ وهي قرية من قرى اربد وتقع الى الشمال الغربي من المحافظة[2].



الشكل 17: سهول كفر جوزا

---

(1) خلف، تيسير، "كنيسة العرب المنسية – أديرة الغساسنة في دمشق والجولان وحوران ولبنان"، التكوين لطباعة والنشر والتوزيع، 2008، ص: 50.

(2) خلف، تيسير، "كنيسة العرب المنسية – أديرة الغساسنة في دمشق والجولان وحوران ولبنان"، التكوين لطباعة والنشر والتوزيع، 2008، ص: 50.

7- عين جرا (دير عين جرا):

وقع الشماس بولس وثيقة رؤساء الاديرة العرب عن دير يحمل اسم عين جرا، ولكن لم يجد الباحثين حتى الان على قرية تحمل ذات الاسم، في حين يعتقد بعض الباحثين في تاريخ تسمية القرى ان مدينة عنجرة في التابعة لمحافظة عجلون في شمال الأردن، هي ذات القرية التي ذكرة في الوثيقة.

8- دير كيفا:

يرجح الباحثين ان كفر كفيا القرية التي تحتوي على الكثير من البقايا الاثرية بين حنايها في شمال الأردن؛ قد ضمت دير كفيا ولكنه دمر والدثر، فإن كلمة كيفا في سريانية تعني الصخرة وتدل على اسم لبطرس الرسول[1].

9- أفا (أيوبا -دير أيوبا):

ظهر في وثيقة رؤساء الاديرة العرب توقيع يحمل اسم القس نطيرو رئيس دير أيوبا او أفا. وفي شمال الأردن يوجد قرية كبيرة تحمل اسم كفر يوبا، ويعتقد الباحثين ان اسم يوبا ما هو الا تحريف او اسم قريب لايوبا، القرية التي حمل الدير اسمها.

10- غسانيا (دير غسانيا):

في حين وقع القس يوحنا وثيقة رؤساء الاديرة العرب بالنيابة عن رئيس دير غسان مار إيليا. ولسوء الحظ لم يتم العثور على بقايا اثار هذا الدير، ولكن كشفت المسوحات الاثرية عن عدد من المغور والكهوف التي تعود للفترة استيطان الغساسنة في المنطقة، وسيتم الحديث عن هذه الكهوف لاحقا في هذا الفصل.

11- الدير (دير فيق):

من المواقع الهامة في سحم ما يطلق عليه السكان المحليين اسم الدير ويقع إلى الشمال من بلدة سحم في منطقة نائية خالية من السكان ويحيط بها أشجار الصنوبر والزيتون والأعشاب ويحدها وادي سحم من الشرق الذي تشرف عليه هضبة كبرى ممتدة شمالا حتى عين صعدة مقابل بلدة عقربا ويتواجد في هذه الهضبه طيور الحمام أو عراق الحمام وهو كهف طبيعي كبير الحجم

---

(1) خلف، تيسير، "كنيسة العرب المنسية – أديرة الغساسنة في دمشق والجولان وحوران ولبنان"، التكوين لطباعة والنشر والتوزيع، 2008، ص: 50.

نادي إليه أسراب الحمام البري والطيور وبجواره من جهة الجنوب موقع عيش رمان حيث يتواجد بعض الكهوف وعلامات القطع الصخري مما يشير إلى أهمية المنطقة خلال العصور القديمة وخاصة العصور الكلاسيكية ومن الجنوب يحد الدير بلدة سحم القديمة التي يتوسطها المسجد ويطل عليها الحصن وبالمسير عبر الوادي (وادي سحم) لمدة 15 دقيقة على مسافة 2 كيلو متر يصل المرء إلى الدير كما يمكن الوصول إليه عبر التل الواقع شمال غربي البلدة القديمة حيث يبعد طريق المعبد أو ترابي نحو الدير حيث أن طريقه وعره وعبر المسير من خلال الطرق التي يستخدمها الرعاة يمكن الوصول إلى الدير[1].

ويتوسط السطح الأوسط للهضبة التي تم حفره فيها وتتكون الهضبة من الصخر الكلسي بدرجة صلابة متوسطة يمكن معه نحت الكهوف والمقابر بسهولة ويسر وتنتشر العديد من الكهوف والمقابر في العديد من المواقع المحيطة بالدير بحيث لا تخلو المنطقة من الكهوف المقبرية أو خزانات جمع المياه هنا وهناك وأعيد استخدامها في فترات لاحقة وحتى يومنا الحاضر.

نحت في الصخر بعد أن تم قطع الواجهة التي يبلغ طولها حوالي سبعون مترا (شمال جنوب) ويبلغ أقصى ارتفاع للواجهة من سطح الأرض حوالي 10 أمتار ويتكون القطع الصخري من 3 طوابق في بعض المواضع ومن طابقين وطابق من الكهوف المنحوتة فوق بعضها البعض استخدمت لأغراض متعددة.

الحجرة الأولى والثانية: متجاورتان يفصل بينهما جدار من الصخر الكلسي الحجرة الأولى بيضاوية الشكل والثانية مربعة الشكل مساحتها 3*3.50م ولها بوابة عرضها 180م*2م ارتفاعا وهما واسعتان مما يشير إلى أنها استخدمتا لأغراض السكن والإقامة حيث تقعان في نهاية الطرف الشمالي للدير وتتصلان بسلسلة من الغرف والكهوف المنحوتة على نفس المستوى حيث يمكن للمرء الوصول إلى الحجرة الثالثة.

الحجرة الثالثة: يمكن الوصول إليها من الحجرة الأولى والثانية من خلال ممر نحت على الحافة الشرقية للحجرتين وتم نحت درج يتكون من 6 عتبات للوصول إلى الحجرة الثالثة حيث ترتفع هذه العتبات عن مستوى سطح الحجرتين الأولى والثانية ما بين 150–200سم ثم يصبح

---

[1] وهيب، محمد، سحم الكفارات تاريخ وحضارة، 2019، ص 200.

الممر منبسطا وضيقا لمسافة ثمانية أمتار بحيث أن السالك لهذا الممر لا يستطيع المسير فيه دون الانحناء بسبب قرب مستوى السقف من الأرضية الذي يصل إلى 150 تقريبا.

حتى يصل المرء إلى الحجرة الثالثة والرابعة وكلا الحجرتين تفتحان على الجهة الشرقية وتطلان على الوادي السحيق أسفل الدير وشكلها بيضاوي وتبلغ مساحتها حوالي 3م شمال جنوب *6م شرق غرب ونحت في جدران الحجرتين كوات ربما استخدمت لأغراض الإنارة[1].

وما بين الحجرة الثانية والثالثة يوجد بقايا كهفين صغيرين مساحة كل منهما 1.50*2.5م ربما استخدما لأغراض إقامة الرهبان ومن أقصى الشمال يشاهد المرء الطابق الأول الذي يتكون من حجرة واسعة؟؟ بيضاوية الشكل وتبلغ مساحتها 8 x8 م وتحتوي على حفرة في الجهة الشرقية المطلة على الوادي ربما تكون خزان ماء حيث لوحظت طبقات القصارة على جوانب فوهة الحفرة (حاليا مطمورة بروث الحيوانات) ومن خلال درج زالت معالمه يتوجه المرء حيث من الطابق الأول إلى منسوب مرتفع للطابق الثاني حيث يسير المرء من الطابق الأول لمسافة 6 أمتار باتجاه الجنوب ليصل إلى ممر ضيق عرضه 60سم ثم إلى حجرة واسعة وكبيرة مساحتها 10م شرق غرب 4X–6م شمال جنوب وهي حجرة غير منتظمة النحت وترك على جوانبها مصاطب حجرية ربما كانت تستخدم للجلوس أو لوضع اللوازم عليها.

وبالمسير 8 أمتار نحو الجنوب من هذه الحجرة يصل المرء إلى حجرة ضخمة وهي أكبر الحجرات في الدير وتبلغ مساحتها 12م شرق غرب X 10م شمال جنوب.

وفي نهاية الطرف الأيسر من الحجرة يوجد كهف صغير ذو شكل مربع وإلا أنه شبه منحرف (عدم دقة في الشكل الرباعي) مساحته 3م*3م. وليس واضحا فيما إذا كان يستخدمه الراهب المقيم بالدير .

وفي منتصف الجدار الغربي للحجرة حفرت كوة صغيرة مساحتها 60*60سم كما يوجد تجاويف على جانبي جدران الحجرة ربما كانت تستخدم لأغراض الإنارة واستخدامات أخرى.

ويمكن تلخيص مكونات الدير على النحو الاتي: ففي الطابق الاول يتواجد سبع حجرات احداها مدفن يضم ثلاث قبور، اضافة الى بقايا معصرة زيتون في الجهة الغربية يتضح من

[1] وهيب، محمد، سحم الكفارات تاريخ وحضارة، 2019، ص 200.

معالمها كوة جدارية لتثبيت العارضة الخشبية الضاغطة والحوض، ويحتمل ان الحجرة الشرقية كانت تستخدم لطقوس التعبد نظرا لوجود ما يشبه الحنية في جدارها الشرقي، اما الطابق الثاني فيتكون من خمس حجرات متداخلة يربطها ببعضها البعض دهاليز وادراج وهي اصغر حجما من حجرات الطابق الاول، ويلاحظ ان البناء كان ديرا للرهبان وان المعالم تحمل صفات الاديرة نظرا لتكامل عناصرها، مما يعطي مؤشرا مهما الى وجود دور ديني واقتصادي لرجال الدين في هذا الدير الذي احتفظ باسمه عبر العصور .

12- دير صنيبعة

في اسفل السفح الشمالي لمنطقة جبيل، وعلى حافة وادي عقربا يتواجد تل صخري يبرز باتجاه الوادي (كالخشم) ومحاط بالاودية من 3 جهات الشمالية حيث يتواجد وادي عقربا ومن الشرق حيث وادي عين صعيدة (كفرسوم)، ثم من الغرب حيث يتواجد وادي صنيبعة الذي يتخلله ثلاثة ينابيع ومجمع كهوف للرهبان[1].

ويمتد البروز الصخري لمسافة تتراوح ما بين 150-170 متر، ويتجه شمال جنوب ويتصل من خلال السفح المرتبط ب جبيل والذي يطلق عليه خلة الدوير.



الشكل 18: صورة لدير الصنيبعة من بعد (وهيب، 2019)

---

(1) وهيب، محمد، سحم الكفارات تاريخ وحضارة، 2019، ص 200.

وفي ذلك دلالة واضحه على التسمية والموقع وارتباطها بالخلاء والاديرة والرهبان وانقطاعهم للرهبنة والعبادة في هذه المنطقة، وقد تم تتبع اثار الادراج والعتبات في السفح المؤدي هبوطاً وصعوداًُ الى هذا الدير من الجهة الجنوبية حيث ما زالت الادراج المنحوتة والمقطوعة في الصخر تشير الى تلك الفترات الزمنية التي تواصل فيها سكان الدير والكهوف مع غيرهم من الاديرة الاخرى في محيط صنيبعة وجبيل ووادي سحم وجوارها.

ولعل بعض ما يشاهده المرء الهابط الى الدير من سفح جبيل الشمالي هو قناة المياه المحفورة في الصخر المنبسط على شكل ساحة حيث نحتت القناة في الصخر وعرضها حوالي 30 سم، عقمها كذلك، وتسير باتجاه الدير انطلاقا من منطقة الينابيع في وادي صنيبعة الضحل، وتنبع من الوادي 3 ينابيع جفت ليومنا الحاضر، ويستخدمها السكان المحليون لسقاية بعض البساتين على هذه الينابيع حيث تظهر بقايا السناسل الحجرية التي كانت تقسم المنطقة الى بساتين تزرع بالاشجار المثمرة مثل الرمان والليمون والجوافة، وقد وقد اقيمت بركة صغيره على النبع الثالث المتدفق الذي نبع من سفح هضبة الدير الجنوبي الغربي وتنساب مياه النبع نحو الوادي وقسم منها يجري داخل القناة المحفورة بالصخر ويسير باتجاه الدير لمسافة تزيد عن 200 متر ليصب في البداية في حوض ترسيب من علو 4 امتار حيث نحت الحوض على شكل شبه بيضوي، ثم بعد ان تترسب الشوائب التي تحملها المياه في الحوض يصب في بركة كبرى مجاورة بحيث تعتبر البركة حاجزاً مائيا بين القادم والنازل من سفح جبيل باتجاه الدير ولا يمكنه العبور بسهولة وعليه اجتيازها للوصول الى الدير[1].

وعليه فقد اصبح الدير محمياً من الجهات الاربعة، الجهات الثلاث السابقة محمية بالمنحدرات الطبيعية، والرابع بواسطة البركة المائية والتي تشكل حاجزاً للقادم الى الدير من جهة الجنوب.

---

[1] وهيب، محمد، سحم الكفارات تاريخ وحضارة، 2019، ص

ثالثاً: الكنائس:

1- كنيسة القديس سرجيوس:

ذكرت وثيقة رؤساء الاديرة العرب، اسم كنيسة القديس سرجيوس الموجودة في الجابية[1]، وقد بنيت هذه الكنيسة كذكرى للشهيد القديس سرجيوس شفيع الغساسنة، ولأهمية هذه القديس نجد أيقونه له في وسط شعار الغساسنة الحربي.

2- كنيسة يوحنا المعمدان:

في نقش عثر عليه في حرّان دليل على الكنيسة التي قام ببنائها شراحيل بن ظالم، وذلك تمجيدا للقديس يوحنا المعمدان في عام 463م. كما يظهر هذا النقش طبيعة الحكم في المملكة الغسانية، ويمنحنا هذا النقش تصورا عن طبيعة الحكم لدى الغساسنة في تلك الفترة، ولسوء الحظ يأتي أي مصدر أخر يتحدث فيه عن الملك شراحيل بن ظالم[2].

3- كنيسة نجران:

نجران اسم لأكثر من مدينة كما يظهر في معجم البلدان، وتقع احدى تلك المدن في سهول حوران/ ويوجد أخرى في جنوب شبه الجزيرة العربية. ويعتقد الباحثين إن كنيسة نجران التي جاء ذكرها في عدد من المصادر توجد في منطقة سهول حوارن، لان أهل هذه المنطقة كانوا يتبعون الديانة المسيحية؛ والتي اعتنقها الغساسنة في تلك الفترة. ولذلك يعيد الباحثين تاريخ هذه الكنيسة إلى الفترة الغسانية.

4- كنائس حوارين (إيفاريا):

تذكر المصادر واحدة من الكنائس الموجودة في سهول حوران؛ في منطقة اطلق عليها بالسابق اسم إيفاريا؛ حيث إن القس يوحنا 519 قس إيفاريا كان من أوائل القساوسة لدى الغساسنة؛ وبعض الروايات تذكر إن هذه الكنيسة افتتحها الملك الغساني المنذر بن الحارث.

[1] Shahid, I. **Byzantium and the Arabs in the Fourth Century** . Washington, D.C., Dumbarton Oaks, 1984,

[2] Shahid, I. **Byzantium and the Arabs in the Fourth Century** .

5- كنيسة تل العميري:

رفعت تنقيبات تل العميري عن أثار لكنيسة أثرية تؤرخ للفترة الغسانية في المنطقة؛ ويعد تل العمري أحد اهم المواقع الأثرية في الأردن فهو من المواقع القليلة التي استوطن فيها الأنسان منذ العصر الحجري حتى نهاية العصور الكلاسيكية بدون انقطاع. ويقع هذا التل على بوابة منتزه عمان القومي طريق المطار. وخلال أعمال التنقيبات في الكنيسة تم الكشف عن صحن الكنيسة وخزان ماء بالإضافة لبعض مرفقات الكنيسة، ويميز هذه الكنيسة النقش المكتوب بالفسيفساء المزية لأرضية الكنيسة؛ وكشف هذا النقش بعد ترجمته ان هذه الكنيسة ما هي الا مقام للقديس سرجيوس؛ وان هذا العمل الفني قد تم إهداءه للمنذر بن الحارث الملك الغساني في تلك الفترة.

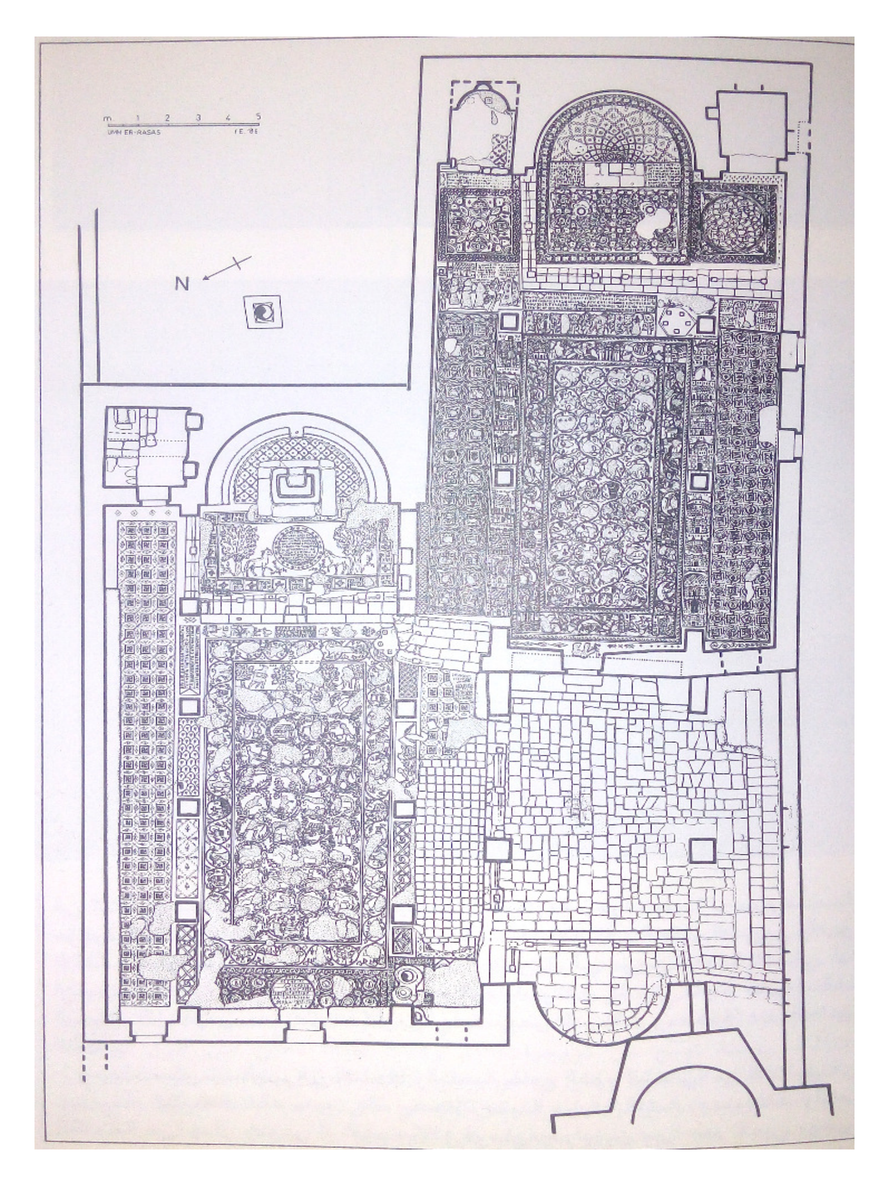
وفي مايلي ترجمة لنص النقش المكتوب باليونانية: "يا رب، تقبل قربان المتبرع صاحب الكتابة، عبدك موسيليوس وأبناءه يا رب يسوع المسيح، إله القديس سرجيوس، احمي القائد بالغ التعظيم المنذر يا إله القديس سرجيوس، بارك خادمك أوزيبيوس وأبناءه! يا إله القديس سرجيوس، بارك ابنك يوانيس مع زوجته وأولاده! يا إله القديس سرجيوس، بارك خادمك عبد الله وديونيسيوس في عهد الأسقف بوليوكتوس، المحبوب من الله، تم رصف هذا الضريح للشهيد القديس سرجيوس بالفسيفساء بسعي من ماري، ابن ربوس، الكاهن الأكثر تقوى، وجورجيوس الشماس، وسابينوس وماريا. في شهر أبريل في وقت".

6- مجمع القديس اسطفانس:

يعتبر مجمع القديس سطفانوس الاميز والاهم في ام الرصاص ليس على الصعيد المحلي والاقليمي بل على الصعيد العالمي ، حيث تمت الحفريات في هذا المجمع على مرحلتين أظهرت العديد من مزايا هذا المجمع، فالمرحلة الأولى أظهرت الشكل الخارجي للمجمع الكنسي الذي يشمل سور وأربعة مواضع لها حنيات محاطين بساحة وأماكن تطل على سكن، أما المرحلة الثانية فأظهرت

لنا أن المجمع يتألف من كنيستين مرصوفتين بالفسيفساء هما كنيسة الأسقف سرجيوس وكنيسة القديس اسطفان، ويجاور المجمع ساحة كبيرة تحوي بئر، بالإضافة إلى ساحة مُبلطة تقع جنوب غرب الكنيستين تطورت حتى أصبحت كنيسة صغيرة وذلك بإضافة قدس الأقداس ذي

الحنية والذي يستند إلى حنية كثيرة الأضلاع لكنيسة أخرى مُبلطة ترتفع عن غيرها في الناحية الجنوبية من المجمع، والكنيستان المرصوفتان بالفسيفساء مع الكنيسة الصغيرة التي تقع في الساحة شكلوا وحدة واسعة مُقدسّة مغطاة ومشتركة، أما جدران المجمع كاملةً لازالت قائمة حتى موضع استقرار الأقواس[1].



الشكل 19: مخطط مجمع كنائس سطفانوس حيث تظهر الكنائس الثلاث المتجاوره والمتداخله مع بعضها البعض وهي كنيسة اسطفانوس وكنيسة سيرجيوس وكنيسة (بناء) المحراب الغربي (بيشريللو، 1993)

---

[1] بيشريللو، ميشيل، مادبا: كنائس وفسيفساء، ترجمه: ميشيل صباح، جورج سابا، أنطون عيسى؛ القدس، معهد الفرنسيسكان للآثار، 1993.

7- كنيسة القديس سيرجيوس:

شكل هذه الكنيسة غير معهود في السابق فهي على شكل البازيليكا ذات حنية واحدة ولا يوجد بها سوى موضع خدمة واحد يقع شمال حنية قدس الأقداس الذي يرتفع درجتين عن صحن الكنيسة. وقد حرمت إقامة كنيسة القديس اسطفانس المبنى السكرستيا الجنوبية وجزء من الصحن الجنوبي وذلك بالجدار الذي يحد قدس الأقداس من الجهة الجنوبية يفصله من الجهات الأخرى درابزين من أعمدة صغيرة وعوارض من الحجر.



الشكل 20: كنيسة استفانوس

ويوجد قاعدة مذبح في تجويف الحنية مبنية على الأرض الفسيفسائية ومصطبه من مقاعد للاكليروس على طول الحنية وهذه المصطبه تقسم بحجر بارز مربع مطلي مع حفرة في الوسط، ونستنتج أن تجويف الحنية كان مزخرفاً بأشكال هندسية متينة ومزهرة وذلك من خلال تحليل كسر الطلاء/ الجبس التي تم التقاطها من المنطقة، ويوجد بداخل الجدار الجنوبي لقدس الأقداس خزانتان جداريتان صغيرتان وكذلك في الجدار مكان الخدمة الشمالي، أما المساحة الداخلية للمكان

الصغير المربع لا يزال قائماً حتى السقف المستند إلى قوس معترض ويضيق مساحتها بعض الدرجات ومصطبة عند الجانب الشمالي[1].

ولقد مكن التنقيب الأثري في الساحة والمنطقة الخارجية للسور الشمالي من التدقيق في بناء الكنيسة فهي بنيت من حجارة متينة مربعة قائمة ومنبسطة ولكن لا يوجد جدار جنوبي فقد أقيم مكانه قوسان ودرابزين من حجر موسى يفصلهما عن كنيسة الساحة الصغرى، وللمبنى ثلاثة أبواب في الواجهة أغلق منها الباب من الجهة الجنوبية في حين إجراء بعض الأشغال التكيفية للجهة ذات الصلة بفوهة بئر داخل الكنيسة حيث بُنيت شرفة للقوارير ومتكان مطليان عند الجدار، (وقد أظهرت الشرفة وهي تغطي ببناء وملاط تاج عمود زاوية قديم من البازلت يزينه تويج من التويجيات)[2] وهناك متكا مقام على طول المحيط الداخلي للجدار الشمالي وكان يغطي سطح الكنيسة التي تسندها أربعة أقواس معترضة قرميد مربع الزوايا والصحن الشمالي كان يغطيه بلاط طويل رفيع من الحجر وجد بقايا منه أيضا ما هو مصفوف على الأرضية.

تزينت قدس الاقداس بشكل شبكي في تجويف الحنية تتبعه لوحة مستطيلة ضمن حزام من الصلبان معقوفة مزدوجة تتوالى ومربعات بزوايا ذات عقد، وفي الداخل يوجد دائرة صورت كتابة الإهداء بين حملين وشجرتي رمان محملتين بالثمار.

بعدما كان الحزام والصحن يزخر بغنى تصويري أصبح بعد فترة محطمي الأيقونات يظهر بشكل غير مميز ومشوش ولم يتبقى منه سوى الحملين المتواجدين في قدس الأقداس وصورة الفصل المشخص في الزاوية الجنوبية الشرقية من الحزام الذي تغطيه قاعدة من حجر منبر أضيف لاحقاً.

بالإضافة إلى وجود كتابة مزينة بطيور وسلاسل جميعها تُزين المساحة القائمة بين درجة قدس الأقداس والحزام ورسوم من الإخراج الهندسي تزين الصحنين الجانبيين والمساحات الطويلة

---

(1) بيشريللو، ميشيل، مادبا: كنائس وفسيفساء، ترجمه: ميشيل صباح، جورج سابا، أنطون عيسى؛ القدس، معهد الفرنسيسكان للآثار، 1993.

(2) بيشريللو، ميشيل، مادبا: كنائس وفسيفساء، ترجمه: ميشيل صباح، جورج سابا، أنطون عيسى؛ القدس، معهد الفرنسيسكان للآثار، 1993.

التي بين الأعمدة ما عدا المساحة الوسطى الجنوبية المزخرفة بمشهد صيد تشوه وتم ترميمه بطريقة سيئة بالإضافة إلى المساحة الأولى الشمالية حيث كتابة الإهداء.



الشكل 21: مذبح كنيسة سيرجيوس

ونجا من الدمار التعليمات المكتوبة باللغة اليونانية التي تدلنا على قراءة وتفسير الإخراج التصويري المركب والجديد في معظمه، فالحزام ذو الزوايا المزينة بنصف أجسام تمثل الفصول مع وعاء قرني الشكل تنطلق منه غصون كرمة تؤلف اللفائف، ففي الجانب الشرقي نشاهد لفاافف تحمل طاووسان يقابلان رسماً متوسط غير واضح، أما الجانب الشمالي نلاحظ مشهد طويل متوالي لقطف العنب مع سلال مملوءة عنباً وفلاح ينقل العنب على ظهر حمار نحو معصرة عنب ثم نرى صورة قفص بباب صغير مفتوح وعصفور في داخله، وهذه الرسوم تتوالى وشجيرات في لفائف الجانب الجنوبي، أما الجانب الغربي نرى فيه مشهد صيد للعصافير مزخرف ولم يتبق بعد الدمار سوى عصفوران على أوراق الشجيرة التي عن اليمين وعن اليسار، ولا يزال يشاهد صياد يرعب العصافير بقصبة[1].

---

[1] بيشريللو، ميشيل، مادبا: كنائس وفسيفساء، ترجمه: ميشيل صباح، جورج سابا، أنطون عيسى؛ القدس، معهد الفرنسيسكان للآثار، مرجع سابق.

ويوجد في الجزء الشرقي للفسيفساء داخل الحزام أربعة شجيرات مُثّل من اليسار إلى اليمين "**رباب**" **يبدو** أنه يجر فريسة صيد ومشهد جني الزيتون وجمعه يتألف من رسمين ومن سلة على الأرض ومشهد صيد العصافير يتألف من صورة بقصبة في اليد وحجل يتوجه نحو شبكة أسفل الشجرة.



الشكل 22: الارضية الفسيفسائية في كنيسة سيرجيوس

ويوجد داخل ورق الأكانتس في فرش الفسيفساء تمثيل لبعض مشاهد الحياة وللذين أوصوا بالصنع وذكر لأسمائهم وذلك ضمن إخراجين كلاسيكيين يشغلان وسط الجدول الأول والأخير، ويوجد شرقاً "اللج" مع مجداف مثل راية في اليد ممثل بين حيوانيين مائيين، ويوجد في الغرب "الأرض" ممثلة كاملة مثل سيدة متوجة بالأثمار ومتحلية بقلادة وحلق وإسوارين وزنّار من زخرف الشريط يشدها في وسطها على ثوبها الطويل وكان يرفقها على الجانبين رسمان أقل كبار يتراءى منهما الشكل وليدان مع أثمار وسنابل قمح لا جرم أنها (Karpoi) التي نجدها في تصاوير مماثلة[1]، وفي الجدول الثاني يوجد بنو يوحنا ووديئة (بن) ايسو مع مبخرة في اليد مرفوعة نحو كنيسة ذات باب كبير الفتحة وستار نازل من أعلى (Zayadine، Jarash I ، P. 32)، وفي اللفافة الرابعة عن اليمين مثل فونيكس الحيوان الخرافي برأس مشع[2]. أما الجدول الثالث يوجد يوحنا بن بورفيريوس وزنجون يعنيان بشل حركة ثور وذبحه فمع الحبال الممدودة يمكن أن نشاهد

[1] Zayadine Jarash I : 324.
[2] Levi: Antioch Mosaics: 351-355.

فأس وسكين لم تصل إليهما أيدي محطمي الصور وفي اللفافة الرابعة في الجدول الثالث صور لبني صوفيا. وفي اللفافة المماثلة من الجدول الرابع لدينا تصوير آخر غير مألوف ألا وهي صورة شخص واقف يحمل سريراً على غرار المقعد الذي شفي في الايقونوغرافيا اليهودية المسيحية، والى جانبه صور يوحنا آخر مع كتاب أو لوح مزدوج مفتوح باليد وعن اليسار بريشا تحتمي من وحش، أما الجدول الخامس فهو مزين بمشهد رعوي أي على شكل راعي جالس وهو يعزف على الناي وسط قطيع من الخراف والمعز، وفي الجدول السادس صوئيل مقبل على الحراثة بثورين قرن نير بينهما وبين المحراث والسياط بارز في اليد اليمنى وفي لفافتين آخرتين تمثيل لمحسن مجهول معه طفل ذو ساقين متباعدتين يشير بيمناه إلى كنيسة تجاورها كنيسة صغرى لكل منهما ستار المدخل، وفي الجدول السابع يبدو وكأن مشهداً من الحياة الرعوية قد عاد يليه في الجدول الثامن شخصان يركبان فرساً وهما يوحنا وبطرس ومعهما رامي سهام وجندي من المشاة، أما في الجدول التاسع مثّل بثوران وبهيمتان بريتان على خلاف ما سبق[1].

وتم ترميم لوحة بشكل مثمن من صلبان سداسية الجوانب، وهذه اللوحة مزينة برسوم سميكة يقوم مقامها أوراق جزئية تزين مدخل الكنيسة عند جوانب دائرة فيها كتابة وهناك أيضاً رسماً هندسياً ثانياً يزين بشكل تلقائي الجزء الذي حول فوهة البئر، ورمم جزء كبير من الصحن الجنوبي ببلاط باللون الأحمر.

8- كنيسة القديس اسطفانس:

ترتفع كنيسة القديس اسطفانس بمقدار متراً واحداً عن مستوى كنيسة الأسقف سيرجيوس، والكنيستان متصلتان ببعض بواسطة درج مكون من خمسة درجات يحميها مقبض لليد يغطي قاعدة المنبر بشكل جزئي في الكنيسة القائمة، وقد أقيمت واجهة الكنيسة الجديدة مع درجات المدخل القليلة على الجدار الشرقي للساحة المُبلطة، والحفريات التي قامت عند الباب الأوسط كشفت عن عارضة ضخمة مزينة بصلبان بارزة وقد ألغي لأنه حجب الضوء بقوس سابق بقي ضمن الواجهة،

---

[1] بيشريللو، ميشيل، مادبا: كنائس وفسيفساء، ترجمه: ميشيل صباح، جورج سابا، أنطون عيسى؛ القدس، معهد الفرنسيسكان للآثار، 1993.

ويوجد أيضاً باب ثالث ذو قوس قد تم إغلاقه ويمكن مشاهدته من الجهة الجنوبية من خلف العمود الاستنادي، ويوجد في الجدار الجنوبي من الكنيسة مدخلان[1].

وهذه الكنيسة بشكل البازيليكا ذات الحنية الواحدة فيه قدس الأقداس مرتفع ويمتد باتجاه الجنوب حتى الجدار ويقف شمالاً قبل الصحن، أما مكان الخدمة الجنوبي فهو يشير إلى ترميمات مختلفة وتمتد للأعلى بإعادة استخدام مكان سابق وبلوغ عقد السقف والقوس الكبير في المدخل، وقد تعرض المكان الشمالي لتغييرات حيث كان بالأصل رباعي الزوايا، ففي الفترة المعاصرة لفسيفساء الصحن الشمالي كان هناك درابزين يفصله عن الكنيسة وعلى الأرضية الفسيفسائية أضيفت قواعد مائدة وفي فترة ثانية أضيفت حنية نصف كروية في الجدار الشرقي وأقيم حائط مقام الدرابزين مع فتحة نحو الشمال، أما تجويف الحنية فكان بداخله كوة منحرفة الشكل وهنا نلاحظ الضوء الخارج من بين العمود الذي تستند عليه أقواس سقف الكنيسة حيث يشكل ضعف الضوء الخارج في كنيسة الأسقف سيرجيوس[2].



الشكل 23: تصاوير من كنيسة اسطفانوس

---

(1) بيشريللو، ميشيل، مادبا: كنائس وفسيفساء، ترجمه: ميشيل صباح، جورج سابا، أنطون عيسى؛ القدس، معهد الفرنسيسكان للآثار،

(2) بيشريللو، ميشيل، مادبا: كنائس وفسيفساء، ترجمه: ميشيل صباح، جورج سابا، أنطون عيسى؛ القدس، معهد الفرنسيسكان للآثار، 1993.

ظلت قاعدة المذبح قائمة في فسيفساء قدس الأقداس مع مكان محفور للذخيرة، ومكان آخر لقواعد أعمدة القبة التي فوق المذبح، أما قاعدة المنبر فهي تتمتع بإخراج تزييني برسم خصوصي الموجودة في طرف الصحن الأوسط في الزاوية الشمالية الشرقية، وكذلك نجد في زخارف الصحن الشمالي عماد صغير من الحجر منخفض العلو يستند إلى الجدار القريب من مكان الخدمة الشمالي مازال محفوظاً حتى الآن.

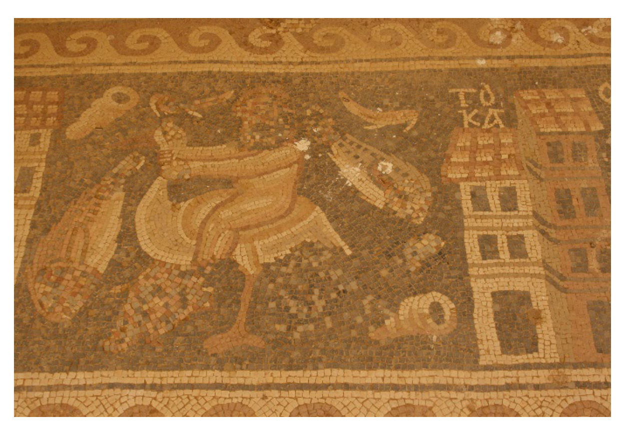
إن أعمال بناء كنيسة القديس اسطفانس تعتبر غاية في السوء مقارنة بأعمال بناء كنيسة الأسقف سيرجيوس، حيث تم البناء بحجارة كلسية سيئة التربيع وتم تجميعها مع بعضها البعض بواسطة وضع الطين فيما بينها وتم تغطيتها بطبقة سميكة من طلاء كلسي، وعند التنقيب حول الجدار الشمالي تم العثور على قطعة من الطلاء المزخرف بشبكة من حجارة صغيرة مدمجة الأجزاء بسلسلة متوالية من أوراق على شكل قلب باتجاه الشرق، وهذا يبين لنا أن دائرة الحنية كانت مزينة بفسيفساء تجويفية وما تبقى منها هو مكعبات من معجونية زجاجية متناثرة على الأرضية الفسيفسائية.



الشكل 24: ارضية كنيسة القديس اسطفانوس التي تعتبر أجمل الارضيات الفسيفسائيه على مستوى العالم[1]

---

(1) بيشريللو، ميشيل، مادبا: كنائس وفسيفساء، ترجمه: ميشيل صباح، جورج سابا، أنطون عيسى؛ القدس، معهد الفرنسيسكان للآثار،











الشكل 25: نماذج من تصاوير كنيسة اسطفانوس

رابعاً: كهوف الرهبان

يعتبر الجزء الجنوبي من وادي سحم مركزا، حيث نحتت العديد من الكهوف في السفح الأوسط والسفلي من الهضبة التي تطل على الوادي ويلاحظ ان الكهوف استخدمت عبر العصور لغايات السكن والإقامة والتخزين والعبادة، وكانت مركزا لتجمع سكان سحم في القرية المعاصرة التي اقيمت بجوار القرية القديمة التي اصبحت امتدادا لها، ويبلغ عدد هذه الكهوف حوالي عشرين كهف بأنواع واحجام مختلفة تعكس انماط السكن التي كانت اساس اقتصادها الزراعة والصيد ووجود ينابيع دائمة الجريان. ولا زالت معظم هذه الكهوف مهجورة في يومنا الحاضر بعدما كانت نابضة بالحياة.

ليس من المبالغة القول ان سحم تتميز بانها الاولى في شمال المملكة بكثرة انتشار الكهوف فيها والتي تتواجد على السفوح العلوية فهي كالمعلقة مثل كهوف الدير وبعضها في السفح الاوسط مثل كهوف دير شمس وكهوف اقيمت في السفح السفلي قرب مجاري الاودية مثل كهوف دير صنيبعه بينما كهوف اخرى تجدها متناثرة هنا وهناك فيكل الاماكن تخبرك عن حياة كانت نابضه ومفعمة بالحيوية والنشاط ولا زال سكان سحم يتناقلون الاخبار والروايات والحكايات والقصص عما وجده الاجداد داخل هذه الكهوف من تماثيل وتوابيت / رانات واواني وأدوات حجرية، وحلي وقطع معدنية.

– الكهوف السكنية: يتواجد الجزء الجنوبي من وادي سحم مجموعة من الكهوف استخدمت عبر العصور لغايات السكن، وكانت مركزا لتجمع سكان سحم في القرية المعاصرة، ويبلغ عددها حوالي عشرين كهفا، يمثل تجمعها شكلا مميز لا لأنماط السكن التي كانت عماد اقتصادها الزراعة والصيد ووجود ينابيع دائمة الجريان كما هو الحال في وادي سحم الموازي لوادي كفر لاهيا.

– كهوف أخرى وهي كهوف الرهبان والخزين.

ومما هو جدير بالذكر ان هذه الكهوف سكنت من قبل سكان سحم قبل ان يغادروها الى البيوت الإسمنتية الحديثة. كما ادت الملاجئ الصخرية دورا مهما في المراقبة للملكيات الزراعية في الوادي، ويلاحظ البعض صعوبة الوصول اليها نظرا لارتفاعها الشاهق.



الشكل 26: كهوف لتربية المواشي ولتخزين في وادي سحم. (وهيب 2019)



الشكل27: كهوف سكنية من وادي سحم بالقرب من السبيل (وهيب، 2019)

تعد أشكال الكهوف في منطقة خربة جبيل واوديتها، حيث تمت الإفادة من الصخر الطبيعي الجيري في نحت هذه الكهوف واستخدام بعضها للرهبنة وللاقامة السكنية وبعضها تم استخدامه كقبور، ويعود تاريخها للفترة ما بين العصر الروماني الى العصور البيزنطينية، واعيد استخدامها لاحقا في العصور الاسلامية لغايات التخزين وخاصة في العصرين المملوكي والعثماني، كما استخدمت بعضها حديثا كحظائر للاغنام، والذي يوجد في سقفة وعلى جوانبه بقايا ثقوب المرابط الحديديه، ويلاحظ ان هذه الكهوف تفتح نحو الشرق حيث اختفت معالم بواباتها عبر الزمن ومن هذه الكهوف والمغاور عراق النعيمي وعراق الشمس.

- **منطقة جبيل:**

جبيل تصغير جبل وهي عبارة عن هضبة ممتدة من بلدة سحم بالاتجاه شمالا ويحدها وادي سحم من الغرب ووادي صنيبعة ووادي عقربا من الشمال ووادي كفرسوم من الشرق، حيث يبقى الامتداد الطبيعي لها مع بلدة سحم[1].

حيث تنحدر المنطقة باتجاه الشرق وتطل على وادي كفرسوم الذي يتميز بانتشار الزراعة على جانبيه وفي سهله الطيف تتدفق عين اسعيده المشهوره عبر التاريخ حيث تروي مزارع الرمان والجوافة والخضروات اثناء جريانها. وفي منتصف السفح الاوسط تنتشر الكهوف والمقابر والمنشات المائية وبقايا الكتل الصخرية التي تساقطت بفعل العوامل الطبيعية وبعضها يمثل جزءاً من تلك المباني والمنشات التاريخية ليستقر بعضها على السفح امام تلك الكهوف والبعض الاخر تدحرج الى اسف الوادي مشكلا حواجز صخرية على بعض الممرات والادراج التاريخية التي نحتت في هذا السفح للتسهيل والتيسير على القائمين في المنطقة للتحرك بكافة الاتجاهات وتطل خربة جبيل من اقصى الشمال الغربي للسفوح على اودية كفرسوم وعقربا وترتبط بمنطقة الكهوف والمنشات الاخرى من خلال العديد من العتبات التي ما تزال اثار بعضها واضحة المعالم، وخلال مسير المرء بين تلك الكهوف والاديره والخزانات يجد نفسه امام احد المادفن/ المقابر المتميزة والذي يطلق عليه اسم قبر العروس واحيانا قبر السيدة الحاملة لطفلها، وهو في حقيقة الامر متميز ونادر كونه يتوسط منطقة تكثر فيها الكهوف والاديره[2].

---

[1] وهيب، محمد، سحم الكفارات تاريخ وحضارة، 2019، ص

[2] وهيب، محمد، سحم الكفارات تاريخ وحضارة، 2019، ص

طبيعة هذا البناء ووظيفته لم تحدد بالرغم من ان الدلائل المتوفرة تشير الى انه كان ذو اغراض عسكرية دفاعية ترتبط مع المرتفعات الاخرى المجاورة والمطلة على الاودية وخاصة منطقة قبزة فارع والرفيد وعقربا .

وليس من المستبعد ربط الموقع بسلسلة الكهوف والاديرة المتواجدة في منطقة السفوح الشرقية للموقع وخاصة عراق دير النعيمي وعراق كفر شمس، وقبر سيدة جبيل ومحيطها من الكهوف والممرات المقطوعة في الصخر والمنشات المائية.

ولا يغامرنا الشك ان الموقع كان مرتبطاً بجواره خلال العصور الرومانية – البيزنطينية عندما كانت الاديرة عامرة ومأهولة بالسكان وخاصة الرهبان اذافة الى ارتباط الموقع ايضا بدير صنيبعة المتواجد في اسفل الوادي على حافة وادي عقربه.

ولا يغيب عن بالنا ان سكان بلدة سحم كانوا في بدايات القرن الماضي ينقلون الحجارة المشذبة من المواقع الاثرية الى مركز البلدة لاستخدامها في اقامة المساكن والمباني الخاصة بهم.

وتعتبر المخلفات من العصر الايوبي المملوكي ظاهرة على موقع خربة جبيل حيث شهدت منطقة سحم اهتماماً ملحوظا باقامة المنشات الدينية مثل مسجد سحم التاريخي وكذلك المراكز الدفاعية ونقاط المراقبة والابراج العسكرية على القمم والمرتفعات المطلة على اودية سحم من الجهات الشمالية والشرقية والغربية[1].

كما وجدت عدة اشكال من المقابر والمدافن المنحوتة في الصخر بشكل مدافن جماعية داخل كهوف او فردية مقطوعة في الصخر، وهنالك منطقة دفن تم العبث بها حديثا في المنطقة ويشير الشكل العام لها انها تعود للعصر الروماني/ البزنطي بدلالة الكسر الفخارية البزنطية المنتشرة على السطح كما انه نحت على يسار المدخل سيدة تحتضن طفلا الامر الذي يشير الى احتمال راجح لكون السيدة تمثل العذراء مريم وتحتضن الطفل السيد المسيح (يسوع) ولهذا القبر اهمية قصوى تحتم علينا العناية به ومحاولة ترميمه ودراسته بشكل وافي وحمايته بشكل دائم كونه يمثل عنصر جذب سياحي ديني هام للمنطقة.

---

[1] وهيب، محمد، سحم الكفارات تاريخ وحضارة، 2019، ص

- **كهف سيدة جبيل:**

يقع الكهف في الطرف الشمالي من جبيل الى الشمال الشرقي من بلدة سحم (داخل مزرعة البيك حاليا[1])، لعل التسمية الاكثر شيوعاً هي قبر سيدة جبيل , وذلك استناداً الى النحت البارز المتواجد على الجانب الايسر للداخل الى الكهف المقبري, وفي تلك التسمية دلالات حيث ان التسمية متعارف لعيها في مدينة عجلون لاحد اهم مواقع الحج المسيحي والتي تسمى سيدة الجبل، وهو اشارة الى السيدة مريم العذراء التي تشير اليها بعض الدراسات انها زارت عجلون وبرفقتها السيد المسيح عندما كان طفلا لحمايته من الاذى خلال فترة العصر الروماني المبكر حيث كان الرومان يقتلون الاطفال بناء على امر الحاكم هيرود الكبير الذي كان فزعا من رؤيا لطفل سيأخذ ملكه ولذلك هربت به امه الى عجلون واستقرت لفترة من الزمن في بلدة عنجرة , وفيما بعد اقيم تمثال وبنيت الكنائس وتم اعتماد الكنيسة ضمن مناطق الحج المسيحي في الاردن.

ويعتبر متميزا دون غيره من الكهوف والمقابر المجاورة له للاسباب التالية:

أولا: موقعه المتميز في كل من عراق دير النعيمي وعراق دير كفر شمس.

ثانيا: وجود ادراج مصنوعة بالصخر الطبيعي توصل اليه بسهولة وتربطه بمحيطه التراثي.

ثالثا: الغطاء النباتي المتميز في المنطقة والذي يضفي على الكهف منظراً جمالياً متميزاً وخاصة من اشجار البلوط المعمرة والنباتات والاعشاب الاخرى التي تنمو في المنطقة, بالاضافة الى المزارع المنتشرة في اسفل الوادي وعلى قمم وسفوح المرتفعات المحيطه مما يجعل من موقع الكهف مكاناً اشبه بالحديقة الخضراء.

رابعا: وجود مقابر محيطه بالموقع وملاصقة ومجاورة للكهف وخاصة الواقعة على الجانب الغربي, وكذلك القبور الثلاثة الواقعة على الجانب الشرقي للكهف, مما يشير الى ان كامل المنطقة كانت مخصصة لاغراض الدفن وان الاهتمام بها دون غيرها من الاماكن يثير تساؤلاً حول سبب استهدافها من طرف المجتمع الديني الذي كان مقيما في تلك المنطقة خلال فترة اقامة هذا الكهف , حيث تتميز المنطقة بالامان بعيدا عن المخاطر الطبيعية والبشرية.

---

[1] يشير العيفان ان خربة جبيل تقع ضمن مزرعة البيك وهو قائم مقام تم تعيينه في اربد زمن الحكم التركي وهو كردي الاصل وابنه كان يستحوذ على الاراضي في سحم ويوزعها.

خامساً: وفرة مصادر الحياة من مياه عذبة تجري في اسفل الوادي وثمار الذروع التي كانت تزرع في الوادي وعلى السفوح وانتشار الينابيع القريبة من محيط الكهف في صنيبعة وخلة دوير , ووادي سحم[1].

اعطى النحات جل اهتمامه وخبرته لاقامة هذا المدفن وجعله متميزاً من خلال العناصر المعمارية التي استخدمها في بنائه ومنها:

1- الاشكال الادمية : حيث نحت تمثال نصفي لتشكل امرأة جالسة وتحتضن طفلا (وقد تعرض التمثال للتشويه لاحقا بفعل الباحثين عن الدفائن).

2- الاشكال الهندسية وتمثل بالاشكال الدائرية والمنحنية والكوات والمستطيلة والزوايا التي وجدت على جانبي المدخل وفي داخل حجرة الدفن الشرقية.

3- الزخارف الجدارية: حيث تم زخرفة جدران الكهف والسقف بضرباب الازاميل التي تستخدم في نحت الكهف بحيث اصبح المنظر منسجماً وموحداً في الزخارف التي ما زالت ماثله بشكل واضح.

4- القطع الحجرية (الالواح): والتي استخدمت كأغطية للتوابيت حيث وجدت متناثرة داخل الكهف المقبري بعد ان عبث بها الباحثون عن الدفائن.

ولم يكن بالامكان التعرف على طبيعية الزخارف التي كانت متواجدة على جوانب واغطية التوابيت بسبب شدة الدمار الذي لحق بها , وان اعمال التنقيب مستقبلاً سوق تسهم في كشف بعض الجوانب وتلقي الضوء عليها.

كما يلاحظ ان المقام محاط بالمقابر من جهة الغرب والجنوب الشرقي ولكن من الشمال والشمال الشرقي يتواجد الوادي المنحدر ونلاحظ ايضاً الاهتمام الواضح في نحت القبر وخاصة الاشكال الادمية مما يشير الى اهمية الشخص المدفون وبرما هنا والحالة هذه تشير الى سيده وربما قبر عائلي لسيدة ذات صفة اعتبارية من الناحية الدينية كانت تقيم في المنطقة وربما تكون راهبة متميزة في العبادة والتدين خلال فترة العصر البيزنطي او ابكر من ذلك خلال العصر الروماني، ولعل كثرة انتشار الأديرة وكهوف الرهبان في هذه المنطقة دون غيرها يدفع المرء الى التفكير في

---

[1] وهيب، محمد، "سحم الكفارات تاريخ وحضارة"، 2019، ص

الاسباب التي دفعت لاختيار هذه المنطقة دون غيرها من المتاحف الاخرى المجاورة, وليس غريباً ان يكون للموقع الجغرافي دوراً بارزاً في هذا الاطار باعتبار المنطقة معزولة وتتمتع بميزات مثل توفر المياه من الينابيع في الوادي وكذلك توفر الاشجار المثمرة وامكانية اقامة زراعات محدودة في منطقة الوادي على جانبي مجرى الوادي.

كما لا يفوتنا الاشارة الى الاحوال العامة في العصر البيزنطي قبل تاريخ معركة اليرموك حيث كانت المنطقة تخضع لنفوذ قبائل غسان المنتشرة في المنطقة حيث افاد بعض الباحثين في اشتراك تلك القبائل في مجريات معركة اليرموك أو عدم مشاركتها.

ولا يغامرنا شك بأن الحرفيين كانوا ماهرين في قطع الحجارة حيث تتميز الصخور بالمنطقة بالنوع الكلسي الصلب الذي يتحمل مقاومة العوامل الجوية ومقاومة التلف, وبدون شك فان العصر البيزنطي قد شهد نمواً وازدهاراً كبيراً في منطقة سحم التي كانت تتمتع بالعناصر الجائبة للاستقرار والاستيطان المستمر فيها.

ويلاحظ ان تلك الأديرة والمقام والمقابر المجاورة لها كانت ترتبط فيها بينهما من خلال المسارات والطرق عبر الأودية والسفوح ولا زالت اثار قطع الصخر لعمل الادراج والممرات باقية الى الان في سفوح جبيل لتسهيل حركة رجال الدين والمقيمين في المنطقة والتواصل ما بين الأديرة والكهوف والكنائس التي لم يكشف عنها لغاية الان رغم العثور على الفسيفساء في اماكن عديدة وخاصة قمة هضبة جبيل.



الشكل 28: مدخل قبر سيدة جبيل / وهيب 2017



الشكل 29: كهف سيدة جبيل من الداخل / فريحات2017

- **القبور العائلية والفردية:**

وتنتشر بكاثافه في المنطقه بين الاديره/ العرقان وتتميز باسلوب الحفر الكلاسيكي حيث وجد الفخار البيزنطي حولها مما يشير الى استخدامها من طرف الرهبان والمقيمين في تلك الاديرة.



الشكل 30: قبور عائلية من منطقة اديرة جبيل (وهيب 2017)

وبلدة سحم كانت إحدى مدن الغساسنة الذين عاشوا في منطقة الجولان   شمال الأردن قبل الإسلام واشتركوا بقيادة جبلة بن الايهم في معركة اليرموك

كان أبرز أحداث الجولان وجنوبي سورية في العهد البيزنطي، ازدياد أهمية الوجود العربي، إذ كان الجولان في أواخر القرن الثالث الميلادي موطن قبائل تنوخ التي نزلت بلاد الشام قبل الإسلام، تبعهم أبناء عمومتهم الضجاعمة ثم الغساسنة، وقد استخدم البيزنطيون الجميع في حربهم

ضد الفرس الساسانيين. وكان القرن الرابع الميلادي أزهى أيام الغساسنة، إذ امتد نفوذهم إلى حوران والجولان والبلقاء وحوض دمشق، وخلفوا في الجولان عشرات المواقع والآثار العائدة للعهد البيزنطي، الذي تنسب إليهم مثل معاصر الزيتون والعنب، دليل الاستقرار الزراعي، وكذلك انتشار نموذج المسكن الحجري الصرف دليل الاستيطان السكاني الدائم، ويرجح أن المنطقة كانت تتمتع في زمن الغساسنة بما يشبه الحكم الذاتي تحت إمرة أمير منهم. وعليه كانت الغساسنه تدين بالنصرانية، ويمتد نفوذها الى سحم واوديتها حيث ينتشر الاديرة قبل قدوم الإسلام.

*** مواقع كهوف الرهبان**

بالاتجاه نحو الجنوب من خلال الحافة الغربية للدير يصل المرء الى الينابيع والبساتين القديمة، حيث ما زال احد الينابيع متدفقاً الى يومنا هذا، وقد قام بعض المزارعون غير المقيمون في الوادي بركة صغرى حولها لتجميع المياه وتمكين الماشية وشربها اثناء الرعي، وقد شاهدنا اسراب النحل التي تكثر في المنطقة دون غيرها من المناطق المجاورة حيث اقام السكان حيث اقام السكان المحليون عددا من المناحل بجوارها.

ولدى تفحص محيط الينابيع الثلاثة كان الأمر مدهشا فلقد وجدت عشرات الكهوف التي حفرت في القاطع الصخري المطل على الينابيع ولا يبتعد عن الدير سوى مسافة 100 متر فقط والكهوف كما ظهر منعزلة عن بعضها البعض وهي لأفراد وتفتح معظمها باتجاه الغرب ويتم الدخول عليها عبر بوابة صغيرة تؤدي الى حجرة صغيرة أحدها والذي تم دخوله وجد في جداره الشرقي والشمالي كوتان صغيرتان لا تتجاوز مساحة كل منها 50X 50 سم، ربما كانت تستخدم لوضع الكتاب المقدس وقناديل الزيت التي كانت تستدم للانارة ليلا.

من مشاهدة العشرات من هذه الكهوف الا ان معظمها طمر اسفل الحجارة المتساقطة من السفوح العلوية ولم يتبقى منها سوى جزء قليل من اطراف بوابتها بارزا يشير اليها .

ولعل هذه المنطقة تمثل ملجأ امناً للرهبان ورجال الدين للانقطاع للعبادة والاتصال مع الدير الرئيسي عبر السفح الغربي للدير حيث ظهرت بعض العتبات والأدراج للتسهيل على الرهبان أثناء حركتهم وتنقلهم في المنطقة.

الخاتمة

المملكة الغسانية احدى اهم الممالك العربية التي سكنت جنوبي بلاد الشام، وكانت الحليف الأهم والأقوى لدى الإمبراطورية البيزنطة خلال الفترة ما بين القرن الرابع وحتى القرن الثامن الميلاديين. ورغم ما شاب تاريخ هذه المملكة من غموض، لم يستطيع المؤرخين على تحديد تاريخ نشأتها بشكل قطعي، ولم يجتمع المؤرخين والدارسين على عدد ملوك هذه المملكة بشكل واضح ومثبت؛ ولكن أظهرت العديد من الدراسات إن ملوك هذه المملكة امتازوا الصلابة والشجاعة والحكمة.

كما أظهرت هذه الدراسة العلاقة ما بين ملوك المملكة الغسانية وأباطرة الإمبراطورية البيزنطينية، وأيضا الديانة التي اعتنقتها المملكة الغسانية والتي اختلفت من اختلاف العصور. حيث تعد المملكة احدى اهم القبائل العربية المسيحية ما قبل الفتوحات الإسلامية.

سلطت هذه الدراسة الضوء على المظاهر الحضارية المختلفة للمملكة الغسانية في جنوبي بلاد الشام، حيث أظهرت الدراسة اهم المظاهر الاجتماعية من ملابس وأزياء وعادات وتقاليد، بالإضافة إلى المظاهر الاقتصادية والدينة وأبرزت الدراسة أهم الأثار العمرانية التي خلفتها لنا هذه المملكة.

وفي الختام تعد المملكة الغسانية واحدة من اهم المملكة العربية القديمة التي لها شأن كبير في المنطقة وقد شارك أهلها في الفتوحات الإسلامية وكانوا ذو عون كبير، وأيضا أظهر معماريون تلك المملكة براعة ليس لها مثيل في البناء.

المراجع والمصادر

أولاً: المصادر:

1. الأصفهاني، أبو الفرج، **كتاب الأغاني**، بيروت، دار الثقافة، ١٩٥٧ م.
2. ابن الأثير، **الكامل**، ج ١، برلين، مطبعة كاوياني، ١٣٤٠ هـ.
3. ابن حبيب، محمد بن أمية بن عمرو الهاشمي، **المحبر**، تحقيق :إيلزه ليختن شتينز، بيروت، المكتب البخاري للطباعة والنشر، ١٩٤٣م.
4. ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، **المعارف** ؛ تحقيق : ثروت عكاشة، ج ٢، مصر، دار المعارف، ١٩٦٠م.
5. ابن منظور، أبو الفضل محمد، **لسان العرب**، ج ٢، بيروت، دار صادر، ١٩٥٦م.
6. ابن هشام، أبو محمد عبدالملك المعافري، **سيرة النبي** ؛ تحقيق :محمد محيي الدين عبدالحميد، ج ١،) القاهرة، مكتبة التراث، 1975.
7. آرثر، كرستنس، **إيران في عهد الساسانيين**، ترجمة :يحيى الخشاب، بيروت، دار النهضة العربية، د.ت
8. أوليندر، جوناز، **ملوك كندة من بني آكل المرار** ؛ ترجمة وتحقيق :عبد الجبار المطلبي، بغداد، ١٩٧٣م.
9. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جعفر بن داود، **فتوح البلدان**، تحقيق :رضوان محمد رضوان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٧٨م.
10. بيغوليفسكيا، نينا فيكتورفينا، **العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي**، ترجمة :صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت، الس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٦١م.
11. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج ١، بيروت، دار الأندلس،١٩٧٣م.
12. نولدكه، تيودور، **أمراء غسان من آل جفنة** ؛ ترجمة :بندلي جوزي وقسطنطين زريق، بيروت المطبعة الكاثوليكية، ١٩٣٣م.

ثانياً: المراجع:

13. باقر، طه، وآخرين، تاريخ إيران القديم، بغداد، مطبعة بغداد، 1980.
14. بدوي، محمد طه، **مدخل إلى علم العلاقات الدولية،** بيروت، الدار المصرية للطباعة والنشر، ١٩٧١م.
15. العيسي، سالم (2007) تاريخ الغساسنة، ط1، دار النمير. دمشق: سورية.
16. حسن، إبراهيم حسن، **تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي،** ج ١، القاهرة، د.ن، ١٩٩٦م
17. عباس، إحسان، **تاريخ بلاد الشام ما قبل الإسلام حتى بداية العصر الأموي،** عمان، الجامعة الأردنية، ١٩٩١م
18. زيدان، جرجي، **تاريخ آداب اللغة العربية،** القاهرة، دار الهلال، ١٩٥٧م.
19. الطيباوي، عبد اللطيف، **محاضرات في تاريخ العرب والإسلام،** بيروت، د.م، ١٩٦٦م مجلة كلية الآداب جامعة بورسعيد
20. صالح، عبد العزيز، **تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة،** القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٨م.
21. الحموي، ياقوت، **معجم البلدان،** ج ٢، بيروت، دار .إحياء التراث العربي، ١٩٧٩م.
22. سالم، عبد العزيز، **دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام،** ج ١، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، د.ت.
23. ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى،** ج ١، بيروت، د.ن، ١٩٥٧م
24. صالح، عبد العزيز، **محاضرات في تاريخ شبه الجزيرة العربية،** – مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت.
25. الطبري، أبو جعفر محمد بن -جرير، **تاريخ الرسل والملوك،** ج ٢، مصر، دار المعارف، ١٩٦١م
26. نيكلش، رينولد، **تاريخ الأدب العربي وصدر الإسلام،** ترجمة :صفاء خلوصي،)بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٦٩م.
27. علي، جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،** ج 3، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٨م
28. النصرات، محمد، **تاريخ جنوب الأردن خلال الفترة البيزنطينية –العقبة (جنوب أ**، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٩م.

29. يمان، عامر، **محاضرات في التاريخ القديم**،) الموصل، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٧٨م
30. بن حبيب، محمد بن أمية بن عمرو الهاشمي، **المحبر**، تحقيق :إيلزه ليختن شتينز،) بيروت، المكتب البخاري للطباعة.
31. الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض**، ص ٦٥ وما بعدها، المسعودي، **مروج الذهب**، ص ص - والنشر، ١٩٤٣ م.
32. نصر بن جعفر، **تاريخ اليعقوبي**، ج ١،) بيروت، دار صادر، ١٩٩٦ م.
33. الميداني، أحمد بن محمد بن أحمد، **مجمع الأمثال**، ط ٢، القاهرة، المكتبة التجارية، ١٩٥٩ م.
34. زيدان، ابن الاثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة** ؛ تحقيق : محمد صبيح، ج ١، القاهرة، د.ن، ١٩٦٤.
35. عمران، محمود، **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطينية**، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨١ م
36. ساليفان، ريتشارد، **ورثة الامبراطورية الرومانية :الغرب الجرماني_العالم الإسلامي _الدولة البيزنطينية**، ترجمة :جوزيف يوسف، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٥م.
37. ستيفن رنسليمان، **الحضارة البيزنطية**، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة: 1961م.
38. الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطينية**، الإسكندرية، ٢٠٠٠ م
39. عبد الجواد، ليلى، **الدولة البيزنطينية في عهد الإمبراطور هرقل**، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٥م.
40. محمد، عمر يحيى،" بيزنطة وفارس قراءة جديدة لآخر جولات الصراع بين القوتين العظميين في العصور.
41. الشريف، أحمد إبراهيم، **مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول**، بيروت، دار صادر، ١٩٩٨ م.
42. فرح، أبو يسر، **الشرق الأدنى في العصرين الهللينستي والروماني**، مصر، عين للدراسات، ٢٠٠٢ م.
43. الأعظمي، علي ظريف، **تاريخ الدولة الفارسية في العراق**، بغداد، مطبعة الفرات، ١٩٢٧م.
44. رستم، أسد، **الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب**، ج ١، ط ١، بيروت، دار الكشوف، ١٩٥٥ م.

45. منصور، طارق، بيزنطة والعالم الخارجي :ج ١، **البيزنطيون والعالم الإسلامي**، القاهرة، مصر العربية للنشر، ٢٠٠٣ م

ثالثاً: المجلات العلمية:

46. الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، **الأخبار الطوال**، تحقيق: عبدالمنعم عامر، القاهرة، دار إحياء الكتب العلمية، ١٩٦٠ م. مجلة كلية الآداب جامعة بورسعيد.
47. العسلي، خالد صالح، "العلاقات السياسية بين المناذرة والغساسنة" ، **مجلة العرب**، ج ٦
48. ظاظا، حسن، **الساميون ولغاتهم**، الإسكندرية، د.ن .١٩٧١ م.مجلة كلية الآداب جامعة بورسعيد
49. الوسطى"، **مجلة الدرعية** :السنة الثامنة، العدد الثاني والثلاثون، ذو الحجة ١٤٢٦ هـ - يناير ٢٠٠٦ م.

رابعاً: المراجع الأجنبية:

50. Baynes. N. H., **The Byzantinw Empire**, London 1929.
51. Bury, J.B, **Ahistory of the Later Roman Empire** , 2 Vols, London, .٢٠٠٠- 99) Cantor, N.F, **Medieval History**, New York, 1964,
52. Cron,Patricia**, MeccanTrad And The Rise of Islam**, Princeton University Press, 1987, p.81.
53. Haldon ,J.F, . **Byzantiumin the Seventh Century**, Cambridge, 1997
54. Hussey,T.M.; **The Byzantine World**, London 1967
55. Hitti,P.K, **Ahistory of the Arabis**, London,1960.p79.
56. Kaegi ،Walter Emil. **Heraclius: emperor of Byzantium**. Cambridge University Press.2003,
57. Rabbath, Edmond**, Lorient Chretien AlaVieill de Islam ,** Publications de, University Libanase, Beyrauth,(1981
58. Ostrogosrky. G.; **AHistory of the Byzantine Sates**. trans. by Hussey, Oxford 1956
59. Ostrogosrky. **AHistory,** p. 41**.** New York 1968.
60. Smith, Sidney , " Eventy in Arabia in The 6 -The Century A.D." **Bulletin Of The American School of Oriental Research** , XV,1054

61. Shahid, I .Byzantine and Arabs in the sixth century, Political and Military music (1995) ,VOL1, P1, Dumbarton Oaks, Harvard University

62. Shahid, I. **Byzantium and the Arabs in the Fourth Century** . Washington, D.C., Dumbarton Oaks, 1984,

63. Shahid, Irfan," Byzantina Arabica, The Confrence of Ramla,A.D**,"** **Jorunal of Near Eastern Studies**, XXXIII, 1964.

64. Treadgold, Warren. **A History of Byzantine State and Society**. University ofStanford Press. 1997.

65. Vssiliev, A. **The Byzantine Empire, Madiso**n, 1952. P. 95)